كيفية معالجة النبي صلى الله عليه وسلم مشكلة نقص الغذاء في العهد المدني

د. علي حسن أحمد شعيب
وزارة الأوقاف المصرية

ظهرت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة، التي عانى أهلها نقصًا في المواد الغذائية، ولذا اتجهوا للعمل بالتجارة، التي وفرت لهم ما يحتاجون إليه من طعام، وحملت إليهم خيرات البلاد(١)، وكانت هذه إحدى النعم التي ذكرهم الله بها في قوله سبحانه: ﴿**لإيلاف قريش ۝١ إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ۝٢ فليعبدوا رب هذا البيت ۝٣ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾(٢).

بيد أن طغاة قريش حملوا لواء المعارضة للدعوة الإسلامية، وساموا من آمن بها منهم - ومن غيرهم - سوء

(١) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م١، ص١٣٦، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٥٥م؛ والفاكهي: **أخبار مكة**، ج٢، ص١٩، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م؛ والطبري: **تاريخ الرسل**، ج٢، ص٢٥٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٢) سورة قريش.

العذاب[٣]، ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا حصارًا اقتصاديًا على بني هاشم - قوم النبي ﷺ - ومن انضم إليهم في الشِّعْب[٤]، استمر ثلاث سنوات تقريبًا، منعوا خلالها وصول الميرة والمادة إليهم، حتى اضطروهم إلى أن يأكلوا الخَبَط[٥]، وورق السمرة[٦]، وكل ما ظنوه يسد رمقهم، حتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون[٧] من الجوع[٨].

(٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٤٠١، الحديث رقم٣٦٤٨، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص١٩٢٤، الحديث رقم٢٤٧٤، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)؛ وابن عبدالبر: **الدرر**، ص٤٤، ٤٥، تحقيق شوقي ضيف، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) الشعب: هو الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن أرض، والمراد به شعب بني هاشم، ويعرف بشعب ابن يوسف. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، ج٢، ص٥٠٩، تحقيق فهيم شلتوت وآخر، طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٥) الخبط: ضرب ورق الشجر حتى يتحات عنه ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل الشجرة وأغصانها، واسم الورق الساقط الخَبَط (بفتح الباء). ابن منظور: **لسان العرب**، م٢، ص١٠٩٤، مادة: (خ ب ط)، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

(٦) السمرة: بضم الميم من شجر الطلح والجمع سمرٌ بوزن رجل وسمراتٌ وأسمر في القلة. الرازي: **مختار الصحاح**، ص٣١٣، مادة: (س م ر)، تحقيق محمود خاطر، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).

(٧) يتضاغون : يتصايحون، وذلك إذا تباكوا. ابن منظور: **لسان العرب**، م٤، ص٢٥٩٣، مادة: (ض غ ا).

(٨) ابن إسحاق: **سيرة ابن إسحاق**، ج٢، ص١٤٠، ١٤١، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، (د. ت)؛ والبخاري **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١١١٣، الحديث رقم٢٨٩٣، وابن عبدالبر: =

وعلى الرغم من ذلك فإن المصادر - التي رجعت إليها - لم تشر إلى أن النبي ﷺ تدخل لحل الأزمة التي أحاطت بمن آمن به وبقومه، وربما يرجع ذلك إلى أن المسلمين لم تكن لهم دولة ذات سيادة يرأسها النبي ﷺ، ويضع لها من التدابير ما يراه مناسبًا لحل مشكلاتها .

وعقب انتهاء الحصار أخذت الدعوة الإسلامية شكلاً آخر، إذ أخذ النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل ليحملوه إلى ديارهم، حتى يبلغ رسالة ربه، فاستجاب له نفرٌ من الأوس والخزرج من العرب، وعرضوا عليه أن يحملوه إلى ديارهم بيثرب - التي سميت بالمدينة بعد الهجرة - وكانوا قد استوطنوها هم وثلاث قبائل من اليهود وفدوا على ديارهم، وهم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، واشتغلوا فيها بغرس النخل الذي كان محصوله يكفيهم، ويصدرون الفائض منه بسعر يزيد على سعر القمح(٩)، إضافة إلى الشعير والفواكه، إذ كانت المدينة بلدًا زراعيًا في المقام الأول، تميل إلى الاكتفاء الذاتي

= **الدرر**، ص٥٧؛ والسهيلي: **الروض الأنف**، ج٢، ص١٦١، تحقيق طه عبدالرؤوف، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م؛ وبرهان الدين الحلبي: **السيرة الحلبية**، ج٢ ص٢٥، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٩) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م١، ص٤٢٢، ٤٢٩؛ والطبري: **تاريخ الرسل**، ج٢، ص ٣٥٤؛ وابن عبدالبر: **الدرر**، ص٦٩، ٧٥؛ وابن كثير: **البداية**، ج٣، ص١٤٧، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م؛ وابن حجر: **الإصابة**، ج٣، ص٢٣٨، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

أو إلى شيء من الوفرة[١٠]، ومع ذلك عانت المدينة نقصًا في المواد الغذائية عقب الهجرة، فما أسبابها؟ وكيف عولجت؟.

أ - مراتب الغذاء:

الغذاء: ما يتغذى به، وقيل: ما يكون به نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب واللبن، وغذاه يغذوه غذاء، يقال: غذوته غذاء حسنًا، ولا يقال: غذيته[١١]، ومراتب الغذاء ثلاث: إحداها: مرتبة الحاجة، والثانية: مرتبة الكفاية، والثالثة: مرتبة الفضلة[١٢]، والناظر في حال المسلمين في المدينة في حياة النبي ﷺ يجد أنهم لم يصلوا إلى المرتبة الثانية من هذه المراتب في كثير من الأحيان، سواء كانوا في المدينة أم خارجها، يتضح ذلك مما يأتي:

ب - حال الطعام في بيت النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ يعيش في بيته كفافًا يكفيه أقل القليل، ما شبع هو وأهله" منذ قدم المدينة من طعام بُرٍّ ثلاث ليال تباعًا حتى قبض"[١٣]، و"لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع

(١٠) عبدالله بن عبدالعزيز ابن إدريس: **مجتمع المدينة في عهد الرسول**، ص١٨٨، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ؛ وعبدالباسط بدر: **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، ج١، ص٢٢٦، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ؛ والسيد عبدالعزيز سالم: **دراسات في تاريخ العرب**، ص٣٣٨، ٣٥٢، ط٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

(١١) ابن منظور: **لسان العرب**، ج٤، ص٣٢٢٣، مادة: (غ ذ و).

(١٢) ابن قيم الجوزية: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ج٤، ص١٨، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخر، ط٢٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

(١٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٧١، الحديث رقم ٦٠٨٩؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٢٨١، الحديث رقم ٢٩٧٠.

من خبز وزيت في يوم واحد مرتين"(١٤)، و"ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم إلا إحداهما تمرٌ"(١٥)، وبلغ من شدة الأزمة أنه كان يأتي عليهم ثلاثة أهلة في شهرين وما يوقد في بيت من بيوته نارٌ، وإنما كان طعامهم الأسودين التمر والماء، إضافة إلى اللبن الذي كان يرسله إليهم جيرانهم من الأنصار(١٦)، وتناول فاطمة بنت النبي ﷺ أبيها كسرة من خبز شعير، فيقول لها: " هذا أول طعام أكله أبوك من ثلاثة أيام"(١٧).

كذلك نجد النبي ﷺ يخبر عن تلك الأزمة وهو على منبره فيقول: "ولقد أتى علي وعلى صاحبي بضع عشرة وما لي وله طعام إلا البرير"(١٨)، أي ثمر الأراك(١٩)، في حين

(١٤) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٢٨٣، الحديث رقم٢٩٧٤.

(١٥) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٣٧١، الحديث رقم ٦٠٩٠.

(١٦) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٩٠٧، الحديث رقم ٢٤٢٨؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٢٨٣، الحديث رقم٢٩٧٢؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٤، ص٢٥٨، الحديث رقم٦٣٤٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(١٧) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٢١٣، الحديث رقم١٣٢٤٦، ج٤، ص١٦٩، الحديث رقم ١٧٥٧٤، مؤسسة قرطبة، مصر، (د. ت)؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٨٢٤، الحديث رقم٢٢١٥؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١١٧٦، الحديث رقم١٥٣٦.

(١٨) الحاكم: **المستدرك**، ج٣، ص١٦، الحديث رقم ٤٢٩٠، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

(١٩) الأراك: شجر المسواك، وهو كثير الفروع، لدن العود، متقابل الأوراق، له ثمار حمر دكن تؤكل. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص١٣، مادة: (أرك)، مصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

يقول عتبة بن غزوان: "فلقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ نأكله إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا[٢٠]"[٢١]، وما كان ﷺ "يجد من الدقل[٢٢] ما يملأ به بطنه"[٢٣].

ولقد كان الجوع يبلغ بالنبي ﷺ مبلغًا عظيمًا فيعرف الصحابة أثره في وجهه ﷺ وفي صوته، فلا يطيقون صبرًا على ذلك، وفي بعض الأحيان كان الجوع يمنعه من النوم، فيخرج للبحث عن الطعام في غير الأوقات المعتادة، ومع ذلك لم يكن الجوع عائقًا له ﷺ يومًا ما عن تبليغ رسالة ربه، فكان يجلس مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة على حجر[٢٤]، بل ويشاركهم في العمل الشاق وهو على تلك الحالة[٢٥]،

(٢٠) الشدق: جانب الفم. الرازي: **مختار الصحاح**، ص٣٣٢، مادة: (ش د ق).

(٢١) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٢٧٨، الحديث رقم٢٩٦٧؛ وابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص١٣٩٢، الحديث رقم ٤١٥٦، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، (د. ت)؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٣، ص٢٩٢، الحديث رقم ٥١٣٩.

(٢٢) الدقل: أردأ التمر. الرازي: **مختار الصحاح**، ص٢٠٨، مادة: (د ق ل).

(٢٣) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٢٨٤، الحديث رقم ٢٩٧٦؛ وابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص١٣٨٨، الحديث رقم ٤١٤٦؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٤، ص٢٥٢، الحديث رقم٦٣٤٠؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٤، ص٣٦٠، الحديث رقم ٧٩٢٠.

(٢٤) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٦٠٩، ١٦١٤، الحديث رقم ٢٠٣٨، ورقم ٢٠٤٠.

(٢٥) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٣٠٠، الحديث رقم ١٤٢٤٩؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٠٥، الحديث رقم ٣٨٧٦.

وعندما شكا إليه أصحابه الجوع ورفعوا عن بطونهم عن حجر، رفع النبي ﷺ عن بطنه عن حجرين(٢٦)، بل إنه قبض ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعًا من شعير أخذها لأهله(٢٧)، لأنه كان يؤثر حاجة غيره على حاجته(٢٨)، كما أن اليهود في عصره كانوا يبيعون الطعام، ولم يكن المسلمون يبيعونه لنهي النبي ﷺ عن الاحتكار(٢٩).

ولا يظن إنسان أن هذا كان هوانًا من الرسول ﷺ على ربه، ولكنه الطريق الذي ارتضاه النبي ﷺ لنفسه؛ لكي يكون مثلاً وأسوة للعالمين، ففي الحديث: "عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا... فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك"(٣٠).

(٢٦) الأصفهاني: **أخلاق النبي**، ج٤، ص١٥٣، تحقيق صالح بن محمد، ط١، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

(٢٧) ابن حنبل: **المسند**، ج١، ص٣٠٠، الحديث رقم٢٧٢٤؛ والأصفهاني: **أخلاق النبي**، ج٤، ص٢٢٢؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج٦، ص٣٦، الحديث رقم١٠٩٧٤، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٢٨) عبدالسميع سالم الهواري: **لغة الإدارة في صدر الإسلام**، ص٢٨٦، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢٩) ابن قتيبة: **تأويل مختلف الحديث**، ص٩٨، مكتبة المثنى، القاهرة، (د. ت).

(٣٠) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٥٢٧، تحقيق حمزة النشرتي وآخرين، المكتبة القيمة، القاهرة، (د. ت)؛ وابن حنبل: **المسند**، ج٥، ص٢٥٤، الحديث رقم٢٢٢٤٤؛ والترمذي: **السنن**، ج٤، ص٥٧٥، الحديث رقم ٢٣٤٧، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

وعلى الرغم من تلك الشدة فإن الرجل من المهاجرين كان إذا قدم المدينة فكان له بها عريف[٣١]، نزل على عريفه، وإن لم يكن له بها عريف نزل ضيفًا على رسول الله ﷺ في الصفة[٣٢]، وكان عددهم يختلف على حسب اختلاف الأوقات، والراتبون منهم يزيدون على المئة، وقيل: نحو أربعمئة رجل، وقد كان بعضهم يغشى عليه فيما بين بيت السيدة عائشة، والسيدة أم سلمة من شدة الجوع[٣٣].

ولم تكن تلك الأزمات تمر دون شكوى من الطعام، فنجد أهل الصفة يقولون للنبي ﷺ ذات يوم: "أحرق بطوننا التمر" فيقول ﷺ: "والله لو وجدت خبزًا أو لحمًا لأطعمتكموه"[٣٤]، ويقول ﷺ لزوجه: "يا عائشة بيتٌ لا تمر فيه جياعٌ أهله، أو جاع أهله"[٣٥]، ولما كان الخل إدام فقراء المجتمع في صدر

(٣١) العريف: هو القيم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يلي أمورهم، ويتعرف الأمير منه أحوالهم، والعريف: النقيب وهو دون الرئيس والجمع عرفاء. ابن منظور: **لسان العرب**، م٤، ص ٢٨٩٩، مادة: (ع رف).

(٣٢) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٤٨٧، الحديث رقم ١٦٠٣١؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٥، ص٧٧، الحديث رقم ٦٦٨٤؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٣، ص١٦، الحديث رقم٤٢٩٠.

(٣٣) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٣٦٣؛ وأبونعيم الأصفهاني: حلية **الأولياء**، ج١، ص٣٣٩، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م؛ وابن حجر: **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج٦، ص٦٨٨، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي وآخرين، ط٢، دار الريان، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م؛ والكتاني: **نظام الحكومة النبوية**، ج١، ص٤٧٧، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت).

(٣٤) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٤٨٧، الحديث رقم ١٦٠٣١.

(٣٥) ابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص١١٠٤، الحديث رقم٣٣٢٧؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٢، ص٥، الحديث رقم ٥٢٠٦.

الإسلام فقد كان النبي ﷺ يأتدم به، ويثني عليه[٣٦]، بقوله: "نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل"[٣٧].

وهذا قليل من كثير وغيض من فيض من حاله ﷺ وحال أصحابه، مما زخرت به كتب التراث الإسلامي، ذكرته على سبيل الاستدلال لا الحصر والإجمال، ويبقى سؤال فحواه: إذا كان هذا هو حالهم في الحضر، فكيف كان حالهم في الغزو والسفر؟!!

ج - حال المسلمين في الغزوات والسرايا:

بداية نقرر أنه قلما خرج المسلمون في جيش من الجيوش وكان معهم فائض من الزاد، يتضح ذلك من قول سعد بن أبي وقاص: "ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ نأكله إلا ورق الحبلة[٣٨]، وهذا السمر حتى إن أحدنا ليضع[٣٩] كما تضع الشاة"[٤٠].

(٣٦) محمد بن فارس الجميل: الأطعمة والأشربة في عصر الرسول، ص٨٢، ٨٣، **حوليات كلية الآداب**، الحولية (١٧)، الرسالة (١١٤)، جامعة الكويت، ١٤١٦/ ١٤١٧هـ.

(٣٧) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٦٢٢، الحديث رقم٢٠٥٢.

(٣٨) الحبلة والحبلة: الكرم، وقيل: الأصل من أصول الكرم، والحبلة طاق من قضبان الكرم، والحبل شجر العنب واحدته حبلة. ابن منظور: **لسان العرب**، م١، ص٧٦٢، مادة: (ح ب ل).

(٣٩) ليضع: بالضاد المعجمة كناية عن الذي يخرج منه في حال التغوط. ابن حجر: **فتح الباري**، ج١١، ص ٢٩٥.

(٤٠) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٢٧٧، الحديث رقم ٢٩٦٦؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٥، ص٤٤٨، الحديث رقم ٦٩٨٩.

وفي بعض الغزوات لم يكن لهم طعامٌ إلا السويق، أو الأسودان، التمر والماء[٤١]، وأحيانًا لا يجدون التمر، ففي بعض الغزوات والسرايا، كان نصيب الرجل منهم كل يوم تمرةٌ، "فكان يمصها ثم يصرها في ثوبه"[٤٢]، وأصابهم جوعٌ شديدٌ - في بعض السرايا - حتى أكلوا الخبط، "فسمي ذلك الجيش جيش الخَبَط"[٤٣].

فقد كانت أكثر الجيوش الإسلامية تخرج لتحارب العدو على بطون خاوية[٤٤]، ولذلك نرى النبي ﷺ وهو في طريقه إلى بدر سنة (٢هـ/ ٦٢٤م) يتضرع إلى ربه بالدعاء - مبينًا حال هؤلاء الكرام - بقوله: "اللهم إنهم جياعٌ فأشبعهم"[٤٥]،

(٤١) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٤٦٢، الحديث رقم ١٥٨٣٧؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٤، ص١١٨، الحديث رقم ٧٠٧٦.

(٤٢) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص٢٣٠٦، الحديث رقم ٣٠١١؛ وابن ماجه: السنن، ج٢، ص١٣٩٢، الحديث رقم ٤١٥٩؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص١٦٤، الحديث رقم ٤٨٦٣، تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري وآخر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٤٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٨٥، الحديث رقم ٤١٠٣؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٥٣٦، الحديث رقم١٩٣٥؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٢، ص٦٣، الحديث رقم ٥٢٥٩.

(٤٤) بشير إبراهيم بشير: **الطعام في الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين**، ص٢٦٦، بحث نشر ضمن أبحاث تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، ط١، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٤٥) أبو داود: **السنن**، ج٣، ص٧٩، الحديث رقم٢٧٤٧، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، (د.ت)؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٢، ص١٤٤، الحديث رقم٢٥٩٦.

ويعملون في الخندق سنة (٥هـ/ ٦٢٧م) بجد ونشاط ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقة[٤٦]، وكانوا يتناوبون حراسة الخندق وهم في قر شديد وجوع[٤٧]، وتصيبهم المجاعة في عسفان[٤٨] منصَرَفهم من الحديبية سنة (٦هـ/ ٦٢٨م) حتى هموا بنحر الإبل، كما أصابتهم مخمصة[٤٩]، في غزوة خيبر سنة (٧هـ/ ٦٢٨م)، ومجاعة في غزوة تبوك سنة (٩هـ/ ٦٣٠م)[٥٠]، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥١]،

(٤٦) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٣٠٠، الحديث رقم ١٤٢٤٩؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٠٥، الحديث رقم ٣٨٧٦؛ والأصفهاني: **أخلاق النبي**، ج١، ص٣٣٧.

(٤٧) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٤٦٥، تحقيق مارسدن جوسن، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٤، ص٥٢٩.

(٤٨) عسفان: قرية جامعة بها منبر. ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص١٢٢، دار الفكر، بيروت، (د.ت). تقع حاليًا على شمال مكة بنحو(٨٠ كم)، وما زالت على اسمها معروفة به، وهي تابعة لإمارة مكة. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري**، ص٣٢٧، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٤٩) الخمص والمخمصة: الجوع وهو خلاء البطن من الطعام جوعًا، والمخمصة المجاعة. ابن منظور: **لسان العرب**، م٢، ص١٢٦٦، مادة: (خ م ص).

(٥٠) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٤٨٨، ٤٨٩، ٦١٦؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١١٥٠، الحديث رقم ٢٩٨٦؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٤١٤، ١٥٣٩، الحديث رقم ١٧٨٨، ورقم ١٩٣٧؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٥، ص٢٤٦، الحديث رقم ٨٧٩٦.

(٥١) سورة التوبة، الآية١٢٠.

هذا عدا السرايا، فقد كانت هذه الأزمات التي عرضت للمسلمين في الحضر والسفر بمنزلة ابتلاء واختبار من الله عز وجل لمعرفة قدرة المسلمين ومدى تحملهم للصعاب(٥٢)، فسبحان القائل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(٥٣).

وقبل أن نترك تلك النقطة لغيرها أود أن أجيب عن إشكال في صورة سؤال فحواه: كيف أصابت المسلمين المجاعة في غزوة الخندق؟ وقد حصدوا زرعهم وأدخلوه مع أتبانهم قبل قدوم الأحزاب بشهر، حتى إن الأحزاب لم يجدوا ما يطعمون به دوابهم التي كادت أن تهلك؟ كما أن النبي ﷺ عرض على غطفان أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا ويخذلوا بين الناس(٥٤).

والجواب أنه لا إشكال بين إصابة المجاعة المسلمين مع جمعهم لثمار مزارعهم، وبين عرض النبي ﷺ على غطفان ثلث ثمار المدينة، لأن المدينة كانت أيام قدوم الأحزاب قد أصابها قحط وجدب(٥٥)، ولذلك نجد النبي ﷺ يقول لوفد مزينة: "أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم،

(٥٢) عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس: **مجتمع المدينة**، ص١٠٦.

(٥٣) سورة البقرة، الآية١٥٥.

(٥٤) الزهري: **المغازي النبوية**، ص٧٩، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م؛ والواقدي: **المغازي**، ج٢، ص٤٦٥؛ وابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٢٢٣؛ وابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج٢، ص٩٦؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٤، ص٥٢٥، ٥٢٦.

(٥٥) الواقدي: **المغازي**، ج٢، ص ٤٤٤.

فرجعوا إلى بلادهم"، وذلك في شهر رجب سنة خمس من الهجرة، قبل قدوم الأحزاب في شوال من العام نفسه(٥٦).

كما أن النبي ﷺ عرض على غطفان ثلث تمر المدينة(٥٧)، ولم يكن أوان جمعه قد حان بعد، إضافة إلى أن الذي جمعوه كان محصول الشعير، وكان لا يكفيهم(٥٨)، ففي الوقت الذي نجد فيه المسلمين يعانون الجوع في غزوة الخندق، نجد فائضًا لدى يهود بني قريظة - لقلة عددهم واحتكارهم الطعام - أرسلوا منه إلى قريش بعشرين حمل بعير من الشعير والتمر والتبن(٥٩).

وفيما سبق رد على ما ذهب إليه الدكتور عبدالله ابن إدريس - رحمه الله - من أن سبب الجوع في غزوة الأحزاب "لا يعود إلى عدم وجود طعام، وإنما إلى قلته وتقنينه بسبب ظروف الحرب"(٦٠)، ونضيف إلى ما سبق ما جاء في تكثير طعام جابر، وفيه قول النبي ﷺ لزوجة جابر: " كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة"(٦١).

(٥٦) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م٢، ص٢١٤؛ وابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٤١٤؛ وابن كثير: **البداية**، ج٥، ص٣٨.

(٥٧) الواقدي: المغازي، ج٢، ص ٤٧٧.

(٥٨) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م١، ص٦٤٥؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٠٦٨، ١٣٨٢، الحديث رقم ٢٧٥٩، ورقم ٣٥٨٧، ج٤، ص١٥٠٥، ١٥٥٠، الحديث رقم٣٨٧٦، ورقم ٣٩٩٩.

(٥٩) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م٢، ص٢٤١؛ وابن قتيبة: **تأويل مختلف الحديث**، ص٩٨؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٤، ص٥٣٩؛ وبرهان الدين الحلبي: **السيرة الحلبية**، ج٢، ص٦٤٧.

(٦٠) عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس: **مجتمع المدينة**، ص١٨٧.

(٦١) ابن حجر: **فتح الباري**، ج٧، ص٤٥٧؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج١٠، ص٨٢.

وعلى كل حال يبدو أن مشكلة الطعام كانت شديدة الوطأة على المهاجرين في المقام الأول، ثم الأنصار أكثر من غيرهم[٦٢]، ومن خلال تلك المشكلة الاقتصادية التي تكاد تكون النمط السائد للمجتمع في عصر الرسالة، يتبين لنا أن الفقر والجوع لم ينفرا الناس من الدخول في الإسلام، إضافة إلى أن المسلمين حققوا أعظم انتصاراتهم وهم جياع، وإذا كان الأمر كذلك فكيف تغلب النبي ﷺ على أزمة الغذاء التي عَرَضَتْ للمسلمين عقب الهجرة؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغي علينا أن نتعرف أسبابها.

د - أسباب مشكلة الغذاء في العهد المدني:

ذهب بعض الباحثين[٦٣] إلى أن قريشًا عقب الهجرة استخدمت زعامتها الدينية والسياسية بين أوساط العرب وأغرتهم بالمسلمين حتى صارت المدينة في شبه مقاطعة اقتصادية، قلّت لأجلها المستوردات من الطعام والمؤن، في حين كان عدد اللاجئين إليها من المهاجرين يزيد يومًا بعد يوم، وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي، وتقديرنا للقائلين به إلا أنه تعترضه عدة إشكالات، منها:

---

(٦٢) عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس: **مجتمع المدينة**، ص١٨٧.

(٦٣) صفي الرحمن المباركفوري: **الرحيق المختوم**، ص١٨٢، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م؛ ومحمد أحمد محمود حسب الله: **في السيرة النبوية**، ص٩٦، ط١، القاهرة، ٢٠٠٥م؛ وطه عثمان الفرا: **جغرافية موقعة بدر**، م١، ص١١٩، بحث نشر ضمن أبحاث تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١ - أن المدينة كانت بلدًا زراعيًا في المقام الأول ، بعكس مكة التي كانت بلدًا تجاريًا(٦٤).

٢ - أن المدينة تقع على طريق القوافل التجارية بين مكة وبلاد الشام(٦٥)، فكان التجار من العرب، وغيرهم من أبناء الأقطار الأخرى(٦٦)، يقدمون إليها بالبضائع المختلفة فيبيعونها فيها، ويكفي أن نشير إلى أنهم في غزوة ذات الرقاع سنة (٤هـ/ ٦٢٥م) علموا بأن أنمارًا(٦٧)، وثعلبة(٦٨)، قد جمعوا لهم الجموع من تاجر قدم بجَلَب(٦٩)، له من نجد(٧٠)، كما أن الانباط(٧١)، كانوا يقدمون المدينة بالدرمك(٧٢)، والزيت في الجاهلية، وبعد

(٦٤) عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس: **مجتمع المدينة**، ص٢١.

(٦٥) حسن خالد: **مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها**، ص٥٠، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٦٦) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م٢، ص١٠٣؛ وابن حجر: **الإصابة**، ج٣، ص٢٣٨، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

(٦٧) أنمار: بطن من ولد بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص٢٥٠، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٦٨) ثعلبة: هم بنو ثعلبة بن دودان بن أسد، بطن من أسد بن خزيمة. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص١٩١.

(٦٩) الجَلَب: ما جلب من إبل وغنم ومتاع للتجارة. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص١١٠، مادة: (ج ل ب).

(٧٠) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص ٣٩٥.

(٧١) النبط: بفتحتين والنبيط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين (ج) أنباط. الرازي: **مختار الصحاح**، ص٦٤٣، مادة: (ن ب ط).

(٧٢) الدرمك: دقيق الحوارى. ابن منظور: **لسان العرب**، م٢، ص١٣٦٧، مادة: (د ر م ك).

أن دخل الإسلام، فكانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط(٧٣).

٣ - أن عددًا من المهاجرين اشتغل بالتجارة بالمدينة، فزاحموا اليهود في أسواقهم(٧٤)، وخرجوا بتجارتهم إلى الأسواق، ونقلوا من خيرات الشام إلى المدينة، وآية ذلك عتاب الله (عز وجل) للمسلمين لتركهم النبي ﷺ يوم الجمعة يخطب على المنبر، وخروجهم لاستقبال التجار(٧٥)، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا**﴾(٧٦)، كما أنهم خرجوا إلى بدر الموعد (سنة٤هـ/ ٦٢٦م) ببضائع لهم ونفقات، فأقاموا ثمانية أيام، والسوق قائمةٌ، وهم أكثر أهل ذلك الموسم، ثم رجعوا ولم يلقوا كيدًا، وقد ربح بعضهم للدينار دينارًا(٧٧).

٤ - أن الأزمة لم تستمر أيامًا أو شهورًا، بل استمرت بضع سنين، تقول أم المؤمنين عائشة: " لما فتحت خيبر قلنا

---

(٧٣) الواقدي: **المغازي**، ج٢، ص٩٨٩، ٩٩٠.

(٧٤) محمد حسين هيكل: **حياة محمد**، ص ١٨٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م؛ وأحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ج١، ص٢٨٥، ط١٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٩م؛ وجعفر ميرغني أحمد: **مباحث من تاريخ المدينة في أيام النبي والخلفاء الراشدين**، ص٢٨١، بحث نشر ضمن أبحاث تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(٧٥) ابن حجر: **فتح الباري**، ج٨، ص٥١١.

(٧٦) سورة الجمعة، الآية ١١.

(٧٧) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص ٣٨٧، ٣٨٨؛ وابن سعد: **الطبقات**، ج٢، ص٨٢، ٨٣.

الآن نشبع من التمر"، في حين يقول عبدالله بن عمر: "ما شبعنا حتى فتحنا خيبر"(٧٨)، ومع ذلك لم يكن فتح خيبر حلاً شافيًا للضائقة الاقتصادية التي كان المجتمع المسلم يمر بها آنذاك ؛ لأن معظم غنائم خيبر وزعت على أهل الحديبية البالغ عددهم نحو ألف وخمسمئة رجل، أما الأكثرية العظمى من سكان المدينة فلم تكن بمنأى من سوء الأحوال المعاشية(٧٩)، وإلى هذا أشار أبو هريرة بقوله: " فلما فتح الله خيبر اتسع الناس بعض الاتساع، وفي الأمر بعد ضيق والمعاش شديد"(٨٠)، ولذلك نجد المسلمين يعانون نقصًا في المواد الغذائية بعد فتح خيبر، بل وبعد فتح مكة - ودخول أهلها في دين الله أفواجًا - فيسمى جيش تبوك، بجيش العسرة(٨١).

وإذا أضفنا إلى ما سبق أن المسلمين فرضوا حصارًا اقتصاديًا على قريش، فقد قطعوا عليها الطرق وأخافوها بعد سبعة أشهر فقط من هجرتهم إلى المدينة(٨٢)، تبين لنا أن هناك أسبابًا أخرى لتلك الأزمة التي عاناها المسلمون

(٧٨) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٥٠، الحديث رقم ٣٩٩٩، ورقم ٤٠٠٠.

(٧٩) محمد بن فارس الجميل: **الأطعمة والأشربة في عهد الرسول**.

(٨٠) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٥٦٤؛ والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٨، ص١٨٧، تحقيق مفيد قميحة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٧، ص١٦٠.

(٨١) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٦٠٢، الحديث رقم ٤١٥٢؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٢٦٩، الحديث رقم١٦٤٩.

(٨٢) الطبري: **تاريخ الرسل**، ج٢، ص٤٠٢؛ وابن كثير: **البداية**، ج٣، ص٢٣٢.

بالمدينة، يرجع أغلبها- في رأيي -إلى المشكلات الداخلية أكثر من المشكلات الخارجية، وتلك الأسباب هي:

أولاً: أسباب الأزمة الخاصة بالنبي ﷺ

١ - خوف النبي ﷺ من أن يكون الطعام الذي يأكل منه من الصدقة، ولذلك لما مر بتمرة مطروحة في الطريق قال ﷺ: "لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها"(٨٣).

٢ - كثرة من كان يغشى مجالس النبي ﷺ، وكثرة أضيافه، كما أن أهل الصفة كانوا يلزمونه من أجل قوتهم، بالإضافة إلى أن النبي ﷺ لم يأكل طعامًا قط إلا ومعه أصحابه، هذا بخلاف أهل الحاجة الذين كانوا يتتبعونه من المسجد(٨٤).

ثانيًا: الأسباب العامة بالنسبة للمسلمين

١ - الكثرة الكبيرة للمسلمين الذين نزلوا المدينة عقب الهجرة، إضافة إلى كثرة الغزوات والسرايا، وكثرة المشاركين فيهما، فقد قاد النبي ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، قاتل في تسع منها(٨٥)، وأرسل عددًا من السرايا اختلف فيها فقيل: عددها ثمان

(٨٣) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٥٣٩؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٨٥٧، الحديث رقم٢٢٩٩؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج٦، ص١٩٥، الحديث رقم١١٨٧٦.

(٨٤) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٥٦٤، ٥٦٥؛ والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٨، ص١٨٧؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٧، ص١٦٠.

(٨٥) الواقدي: المغازي، ج١، ص٧؛ وابن هشام: **السيرة النبوية**، م٢، ص ٦٠٧؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٤، ص ١٦، ١٩.

وثلاثون(٨٦)، وقيل: كانت سبعًا وأربعين سرية(٨٧)، ومثل هذه الحروب - والتي وقعت خلال عشر سنين - تستنفد خزائن أغنى الدول، فكيف بخزائن دولة ناشئة، نفقاتها كثيرة، ومواردها قليلة؟ فضلاً عن أن بعض هذه الغزوات والسرايا خرجت قبل جمع الثمار التي طابت وحان قطفها(٨٨).

٢ - غلاء الأسعار وقلة الأموال، فإذا كان بعض المهاجرين قد خرجوا بأموالهم من مكة، فإن الأكثرية العظمى منهم صودرت أموالهم، ودخلوا المدينة ولا يكادون يجدون قوتهم(٨٩)، وكانت تجارة المدينة في أيدي اليهود، وكانوا يزيدون في الأسعار(٩٠).

٣ - تلف محصول التمر بسبب إصابة النخل بالقُشام(٩١) فيذهب بالثمار في تلك السنة، أو لعدم تلقيحه(٩٢)، أو

(٨٦) ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج٢، ص ٦٠٨؛ والكلاعي: **الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، ج٢، ص٢٤٥، تحقيق محمد كمال الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٨٧) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص٧.

(٨٨) ابن هشام: السيرة النبوية، م٢، ص٥١٦؛ وابن كثير: **البداية**، ج٥، ص٤.

(٨٩) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م١، ص٤٧٥، ٤٧٧؛ وابن كثير: **البداية**، ج٣، ص١٧٠، ١٧٧.

(٩٠) البغوي: **حديث مصعب بن عبدالله الزبيري**، ج١، ص٨٣، الحديث رقم ١٠٩، تحقيق صالح عثمان، الدار العثمانية، عمان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١١، ص٣٤٠، الحديث رقم ٤٩٦٧.

(٩١) القشام بالضم هو: أن ينتقض ثمر النخل قبل أن يصير بلحًا. ابن منظور: **لسان العرب**، م٥، ص٣٦٣٩، مادة: (ق ش م).

(٩٢) ابن سعد: الطبقات، ج١، ص٥٦٥؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص١٨٣٥، ١٨٣٦، الأحاديث أرقام٢٣٦١، ٢٣٦٢، ٢٣٦٣.

نتيجة عدوان رجال من قريش على البساتين وإتلافها بإهلاك الحرث وقطع النخيل وحرقها(٩٣)، ولذلك كانوا في بعض الأحيان يقترضون من اليهود التمر، فإذا جاء الموسم أعطوهم حقهم(٩٤).

٤ - القحط الذي أصاب البادية مرارًا بسبب ندرة الأمطار، وجفاف الآبار، حجتنا في ذلك قول القائل للنبي ﷺ - وهو يخطب -: "يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا"(٩٥)، بل إننا نجد الجوع يدفع حديثي الإسلام منهم إلى السرقة، يقول عباد بن شرحبيل(٩٦): "قدمت المدينة وقد أصابني جوعٌ شديدٌ فدخلت حائطًا فأخذت سنبلاً فأكلت منه وجعلت في ثوبي"(٩٧)؛ من أجل

(٩٣) ابن حبان: **الصحيح**، ج٢، ص٤٦٠، الحديث رقم ٦٨٤.

(٩٤) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص٤٠١.

(٩٥) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج١، ص٣٤٩، الحديث رقم ٩٨٦؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٢، ص٦١٤، الحديث رقم ٨٩٧؛ وابن الجارود: **المنتقى**، ج١، ص٧٥، الحديث رقم ٢٥٦، تحقيق عبدالله عمر، ط١، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٩٦) عباد بن شرحبيل: ويقال شراحيل اليشكري ثم الغبري من بني غبر (بضم المعجمة وفتح الموحدة الخفيفة) بن يشكر، نزل البصرة، وروى حديثه أبو داود والنسائي. المزي: **تهذيب الكمال**، ج١٤، ص ١٢٥، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م؛ وابن حجر: **الإصابة**، ج٣، ص٦١٥.

(٩٧) ابن حنبل: **المسند**، ج٤، ص١٦٦، الحديث رقم ١٧٥٥٦؛ وابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص٧٧٠، الحديث رقم ٢٢٩٨؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٤، ص١٤٨، الحديث رقم٧١٨٢.

ذلك وادع عيينة بن حصن[٩٨] النبي ﷺ منصرفَه من غزوة دومة الجندل[٩٩] سنة (٥هـ/ ٦٢٥م) على أن يرعى بتغلمين[١٠٠]، وما والاه إلى المراض ؛ لأن بلاده كانت قد أجدبت[١٠١]، ولما قدم على النبي ﷺ وفد بني فزارة[١٠٢] سنة (٩هـ/٦٣٠م) في بضعة عشر رجلاً مقرين بالإسلام وهم مسنتون على إبل عجاف، سألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقال رجل منهم: "يا رسول الله، أسنتت بلادنا،

(٩٨) عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر: له صحبة وكان من المؤلفة قلوبهم، أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنينًا والطائف، وكانت منه هنة في أيام أبي بكر، ثم أصلحها الله، وكان فيه جفاء سكان البوادي، ومات في آخر خلافة عثمان. ابن حبان: **الثقات**، ج٣، ص٣١٢، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، ط١، دار الفكر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م؛ وابن حجر: **الإصابة**، ج٤، ص٧٦٧، ٧٦٩.

(٩٩) دومة الجندل: هي ما بين الحجاز والشام. الحميري: **الروض المعطار**، ص٢٤٥، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨٠م. وهي حاليًا قرية في الجوف، والجوف: منطقة زراعية في شمال الجزيرة العربية. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: **معجم الأمكنة**، ص٢٣١.

(١٠٠) تغلم: يقع بين نخل وبين الطرف، دون المدينة بمرحلة، وهما جبلان يقال لهما: التغلمان، والمراض: واد فوق التغلمين، بين رابغ والجحفة. البكري: **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج١، ص٢١٨، ج٣، ص٢٥٩، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(١٠١) ابن سعد: **الطبقات**، ج٢، ص ٨٦، ٨٧؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٤، ص٤٨٥.

(١٠٢) بنو فزارة: ولد فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ص٢٥٥.

وهلكت مواشينا، وأجدب جنابنا، وجاعت عيالنا. فادع لنا ربك أن يغيثنا"[١٠٣].

٥ - يرى بعض الباحثين[١٠٤] أن سبب مشكلة الغذاء يرجع إلى أن الأنصار كانوا يعيشون - في الأغلب - كفافًا، إذ كانت أغلب ثروات المدينة في أيدي اليهود، الذين سيطروا على الحركة التجارية، فضلاً عن امتلاكهم أخصب الأراضي الزراعية وأكثرها غلة في المدينة، وآية ذلك أن مخيريقًا[١٠٥] - وهو أحد زعماء يهود بني النضير - كان يمتلك سبعة بساتين[١٠٦].

ولكن يبدو لي أن في هذا الرأي تضخيمًا لأثر اليهود في المدينة، فبنو قينقاع لم يكن لهم أرضون ولا قراب - أي: مزارع -[١٠٧]، كما أنه لما قسمت أراضي بني النضير وبني

(١٠٣) الكلاعي: **الاكتفاء**، ج٢، ص٢٧٤؛ وابن كثير: **البداية**، ج٥، ص٧٩؛ وبرهان الدين الحلبي: **السيرة الحلبية**، ج٣، ص ٢٦٧.

(١٠٤) أحمد إبراهيم الشريف: **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول**، ص٢٩٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م؛ وأحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ج١، ص٢٨٤؛ وعبدالباسط بدر: **التاريخ الشامل**، ج١، ص٢٣٥.

(١٠٥) مخيريق بن ثعلبة اليهودي النضري: ويقال: إنه من بني قينقاع، كان من علماء اليهود وأغنيائهم، أسلم يوم أحد، وأوصى بأمواله للنبي ﷺ واستشهد بأحد سنة (٣هـ/٦٢٥م). ابن كثير: **البداية**، ج٣، ص٢٣٦، ج٤، ص٣٨؛ وابن حجر: **الإصابة**، ج٦، ص٥٧؛ والزركلي: **الأعلام**، ج٧، ص١٩٤، ط١٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧م.

(١٠٦) ابن شبة: **تاريخ المدينة**، ج١، ص١١٠، تحقيق علي محمد دندل وآخر، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، والماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص١٤٦، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م؛ والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٦، ص٢٥٨.

(١٠٧) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص١٧٩.

قريظة على المسلمين لم تكن كافية لحل مشكلات المهاجرين، ولذلك تقول أم المؤمنين عائشة: "من حدثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم، فلما افتتح ﷺ قريظة أصبنا شيئًا من التمر والودك[١٠٨]"[١٠٩]، يضاف إلى ذلك أن المهاجرين لم يردوا إلى الأنصار منائحهم التي كانوا منحوهم إياها من الشجر والثمر إلا بعد فتح خيبر حين صار لهم بها مال ونخيل[١١٠].

٦ - على الرغم من اشتغال معظم سكان المدينة بالزراعة فإن النبي ﷺ قدمها وأهلها يسلفون بالتمر السنتين والثلاث نبيط أهل الشام في الحنطة والشعير والزيت[١١١]، حتى يضمنوا أن يحصلوا على حاجتهم من تلك البضائع التي كانوا يستوردونها من بلاد الشام، لأن حاصلات المدينة الزراعية لم تكن كافية لتموين سكانها[١١٢]، والسبب في ذلك أن مناخ المدينة متقلب وغير مستقر على وتيرة واحدة أو معلومة، وهو ما كان يعرضها لحالات العسر والجدب[١١٣].

(١٠٨) الودك: الدسم، أو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص٦٦٤، مادة: (و د ك).

(١٠٩) ابن حبان: **الصحيح**، ج٢، ص٤٦٠، الحديث رقم ٦٨٤؛ وابن حجر: فتح الباري، ج١١، ص٢٩٧.

(١١٠) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٣٩١، الحديث رقم١٧٧١؛ وابن قيم الجوزية، **زاد المعاد**، ج٣، ص٣٥٩.

(١١١) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٨١، ٧٨٢، الأحاديث أرقام٢١٢٤، ٢١٢٥، ٢١٢٨.

(١١٢) أحمد إبراهيم الشريف: **مكة والمدينة**، ص٢٩٤، ٢٩٥.

(١١٣) عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس: **مجتمع المدينة**، ص١٨٨.

وهذا يبين لنا بجلاء حجم المشكلة الغذائية التي كانت تعانيها المدينة بعد الهجرة والتي استمرت لعدة أعوام حتى تحسنت بعض الشيء بإخراج اليهود من المدينة، إضافة إلى أن فتح خيبر أيضًا وسع على الناس بعض الاتساع إلا أنه ظل بعض الضيق في المعايش(١١٤).

(هـ) علاج مشكلة الطعام:

كان النبي ﷺ يستشعر عظم مشكلة الغذاء من أول يوم قدم فيه المدينة، يتضح ذلك مما جاء في أول خطبة له فيها، إذ حث المسلمين على الصدقات، وتقديم يد العون للفقراء، فقال: "أيها الناس فقدموا لأنفسكم... فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل"(١١٥)، مشيرًا بذلك إلى بعض الطرق لعلاج هذه المشكلة، ومن ثم كانت التدابير النبوية تسير في عدة محاور.

أولاً: التدابير التشريعية

من الأركان التي بني عليها الإسلام إيتاء الزكاة، ولذا كان هذا الركن من المصادر الأُسُس التي اعتمد عليها النبي ﷺ في علاج مشكلة الغذاء التي عرضت للمسلمين بعد الهجرة.

فقد فرض الله (عز وجل) على المسلمين الزكاة، وحدد نصابها، ومصارفها، سواء ما يتعلق منها بالأموال، أم بالزروع

(١١٤) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٥٦٤؛ والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٨، ص١٨٧؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٧، ص ١٦٠.

(١١٥) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م١، ص٥٠١، ٥٠٢؛ والكلاعي: **الاكتفاء**، ج١، ص٢٧٥؛ وابن كثير: **البداية**، ج٣، ص ٢١٢.

والثمار والحيوان[١١٦]، بما يكفي لسد جوع الفقير وحاجة المسكين، ومن ثم كان عدم امتثال أوامر الله (عز وجل) - خاصة في هذا الركن - سببًا من أسباب القحط، كما جاء في قوله ﷺ: "... ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر"[١١٧]، ولذلك يقول علي بن أبي طالب: "إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم"[١١٨]، يضاف إلى ذلك زكاة الرؤوس، التي شرعها الإسلام بمناسبة إكمال صيام شهر رمضان، وإقبال عيد الفطر[١١٩] "طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين"[١٢٠].

وبذلك تكون الزكاة قد حققت كفالة الأغنياء من المسلمين للفقراء والمساكين والأرقاء وأبناء السبيل، فأوجدت التضامن بين أفراد المجتمع، ووفرت لهؤلاء ما يحتاجون إليه من طعام[١٢١].

(١١٦) يمكن مراجعة أحكام باب الزكاة في، الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص٩٩، ١٠٩؛ والشوكاني: **نيل الأوطار**، ج٤، ص١١٤، وما بعدها، دار التراث، القاهرة، (د.ت).

(١١٧) الحاكم: **المستدرك**، ج٢، ص١٣٦، الحديث رقم٢٥٧٧؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص٣٤٦، الحديث رقم ٦١٩٠.

(١١٨) البيهقي: **السنن الكبرى**، ج٧، ص٢٣.

(١١٩) يوسف القرضاوي: **مشكلة الفقر**، ص٦٦، ط٧، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(١٢٠) أبو داود: **السنن**، ج٢، ص١١١، الحديث رقم١٦٠٩؛ وابن ماجه: **السنن**، ج١، ص٥٨٥، الحديث رقم ١٨٢٧.

(١٢١) قطب إبراهيم محمد: **السياسة المالية للرسول**، ص٤٠، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.

يضاف إلى ما سبق جعل الكفارات بأنواعها المختلفة[١٢٢] بابًا من أبواب المساعدة في حل مشكلة الغذاء لدى الفقراء، ولذلك لما أمر النبي ﷺ الذي أصاب أهله في رمضان بالصدقة، فأخبره أنه لا يجد شيئًا، أجلسه عنده، ثم جاء رجل آخر بصدقة، فقال ﷺ للذي أصاب أهله: "تصدق بهذا. فقال: يا رسول الله أغيرنا؟ فوالله إنا لجياعٌ ما لنا شيءٌ، قال: فكلوه"[١٢٣].

وإذا كان النبي ﷺ قد أذن لأصحابه المجاهدين في الأكل من غنائم الغزوات والسرايا قبل تقسيمها؛ لشدة جوعهم، وألا يدخروا شيئًا[١٢٤]، فإن الله عز وجل قد جعل لغير المجاهدين من الفقراء والمساكين سهمًا من الغنيمة عند تقسيمها، فقال سبحانه: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾[١٢٥].

ولذلك عندما أصاب الناس جوعٌ بذي الحليفة، وأصابوا إبلاً وغنمًا قسمها النبي ﷺ بينهم "فعدل عشرًا من الغنم ببعير"[١٢٦]،

---

(١٢٢) مثل كفارة الحنث في اليمين، وكفارة الظهار، وكفارة الجماع في نهار رمضان، وكفارة ارتكاب محظور من محظورات الإحرام. يوسف القرضاوي: **مشكلة الفقر**، ص١١٦، ١١٧.

(١٢٣) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٢، ص٧٨٣، الحديث رقم ١١١٢؛ وأبو داود: السنن، ج٢، ص٣١٤، الحديث رقم ٢٣٩٤؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٢، ص٢١٠، الحديث رقم٣١١٠.

(١٢٤) الواقدي: **المغازي**، ج٢، ص٦٦٤، ٦٦٥.

(١٢٥) سورة الأنفال، الآية٤١.

(١٢٦) النسائي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص١٥٢، الحديث رقم٤٨٠٩؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٣، ص٢٠١، ٢٠٢، الحديث رقم ٥٨٨٦؛ البيهقي: **السنن الكبرى**، ج٩، ص٦١، الحديث رقم١٧٧٨٨.

وذكر أسيد بن حضير[١٢٧] للنبي ﷺ - وكان قد قسم طعامًا - أهل بيت من الأنصار من بني ظفر[١٢٨] فيهم حاجة، فقال ﷺ: "تركتنا يا أسيد حتى ذهب ما في أيدينا، فإذا سمعت بشيء قد جاءنا فاذكر لي أهل ذلك البيت، قال فجاءه بعد ذلك طعام من خيبر، شعير وتمر، قال: فقسم رسول الله ... وقسم في أهل ذلك البيت فأجزل"[١٢٩].

كذلك كان من بين التدابير التي عالج بها النبي ﷺ مشكلة الغذاء، النهي عن الأكل من لحوم الأضاحي بعد ثلاثة أيام في أول الإسلام بسبب شدة أصابت الناس، فأحب رسول الله ﷺ أن يطعم الغني الفقير[١٣٠]، إضافة إلى النهي عن الإسراف في المأكل، وبيان مدى ضرره على صحة الإنسان بقوله ﷺ: "ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطن ، بحسب ابن آدم أكلاتٌ يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"[١٣١]،

(١٢٧) أسيد بن حضير بن سماك الأشهلي الأنصاري: شهد العقبة وكان أحد النقباء فيها ولم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وتوفي في سنة (٢٠هـ/ ٦٤١م). ابن سعد: **الطبقات**، ج٣، ص٦١٦، ٦٢٠؛ وابن خياط: **طبقات خليفة**، ص١٤٠، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

(١٢٨) بنو ظفر: واسم ظفر: كعب بن الخزرج، من ولد مالك بن الأوس بن حارثة، وهم خزرج في الأوس. ابن قتيبة: **المعارف**، ص١١٠، تحقيق ثروت عكاشة، ط٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

(١٢٩) ابن حبان: **الصحيح**، ج١٦، ص٢٦٥، ٢٦٦، الحديث رقم٧٢٧٧؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٤، ص٨٩، الحديث رقم٦٩٧٤.

(١٣٠) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٥٦٠، الحديث رقم١٩٦٩؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص٧٠، الحديث رقم ٤٥٢١.

(١٣١) الترمذي: **السنن**، ج٤، ص٥٩٠، الحديث رقم٢٣٨٠؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج٢، ص٤٤٩، الحديث رقم٦٧٤.

وكذلك التنبيه على أن كثرة تناول الطعام من صفات الكافرين بقوله ﷺ: "المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"(١٣٢)، كما كان ﷺ يضع لهم آداب تناول الطعام في أروع صورة(١٣٣)، فعندما قال له بعضهم: "يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع. قال: فلعلكم تفترقون، قالوا: نعم، قال: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه"، فضلاً عن حثه ﷺ على صوم التطوع عند عدم وجود الطعام، وجعل من نفسه المثل والأسوة، فكان إذا دخل على أهله قال: "هل عندكم طعامٌ؟" فإذا قالوا: لا، قال: "إني صائمٌ"(١٣٤).

كما أنه ﷺ حث على معرفة الأسباب التي دفعت الفقير لسرقة الزروع والثمار وعلاجها، بقوله لصاحب البستان - الذي أمسك بالأعرابي - "ما علّمته إذ كان جاهلاً ولا أطعمته إذ كان ساغبًا"، وأمر للأعرابي بنصف وسق من شعير. وللمحافظة على الثمار نجد النبي ﷺ ينهى عن رمي النخل بالحجارة ويأمر بالأكل مما يسقط بالريح، كيلا يفسد التمر ويتمزق ويتفرق بهذه الطريقة، فهذا يؤثر في المحصول تأثيرًا سيئًا(١٣٥).

(١٣٢) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٠٦١، الحديث رقم٥٠٧٨؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٦٣٢، الحديث رقم٢٠٦٢؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٢، ص٣٨، الحديث رقم٥٢٣٤.

(١٣٣) أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ج١، ص٣٨٠.

(١٣٤) أبو داود: **السنن**، ج٢، ص١٢٠، ٣٢٩، الحديث رقم ١٦٤١، ورقم ٢٤٥٥.

(١٣٥) ابن حنبل: **المسند**، ج٤، ص١٦٦، الحديث رقم ١٧٥٥٦، ج٥، ص٣١، الحديث رقم ٢٠٣٥٨؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٣، ص٥٠٢، الحديث رقم ٥٨٧٤، ج٤، ص١٤٨، الحديث رقم٧١٨٢؛ وابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص٧٧٠، الحديث رقم ٢٢٩٨؛ وأبو داود: **السنن**، ج٣، ص٣٩، الحديث رقم ٢٦٢٢.

ولا ننسى أن النبي ﷺ بين أسباب القحط وأنه ليس في قلة المطر، وإنما في عدم النبت فقال: "إن السنة [الجدْب] ليس بأن لا يكون فيها مطرٌ ولكن السنة أن تمطر السماء ولا تنبت الأرض"(١٣٦)، فالجدب لا يكون بانقطاع المطر - كما يتبادر إلى الأذهان - ولكن بإعراض الأرض عن الإنبات إما لتصحرها، وإما لإعراض الإنسان عن إنباتها(١٣٧)، ولذا يقول عبدالله بن عباس: "ما من عام بأقل مطرًا من عام ولكن الله تعالى يصرفه حيث يشاء، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾(١٣٨)(١٣٩).

كذلك كان من التدابير التي اعتمد عليها النبي ﷺ في علاج مشكلة الغذاء تنظيم البيع والشراء(١٤٠)، إضافة إلى بيان ما يقع فيه من أخطاء في البيع، عندما شكوا إليه غلاء السعر بقوله ﷺ: "إنما البيع عن تراض، ولكن في بيوعكم خصالاً أذكرها لكم: لا تضاغنوا ولا تناجشوا(١٤١)، ولا تحاسدوا(١٤٢)،

(١٣٦) ابن حنبل: **المسند**، ج٢، ص٣٤٢، الحديث رقم ٨٤٩٢.

(١٣٧) جعفر ميرغني أحمد: **مباحث في تاريخ المدينة**، ص٢٩١.

(١٣٨) سورة الفرقان، الآية٥٠.

(١٣٩) الحاكم: **المستدرك**، ج٢، ص٤٣٧، الحديث رقم ٣٥٢٠؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص٣٦٣، الحديث رقم ٦٢٧٥.

(١٤٠) النسائي: **السنن الكبرى**، ج٤، ص٣٨، الحديث رقم٦٢٠٠.

(١٤١) تناجشوا: من النجش، وهو أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها ليقع غيره فيها. ابن حجر: **فتح الباري**، ج١٠، ص٤٩٩.

(١٤٢) الحسد: تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعم من أن يسعى في ذلك أو لا. ابن حجر: **فتح الباري**، ج١٠، ص٤٩٧.

ولا يسوم[١٤٣] الرجل على سوم أخيه[١٤٤]"، فضلاً عن مراقبته الأسواق ونهيه ﷺ عن الغش في البيع والشراء، بقوله: "من غش فليس مني"[١٤٥].

يضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ كان يتحرى للمسلمين الطيب من الطعام - على الرغم من شدة أزمة الغذاء - ببيان ما حرمه الله عليهم مما علمه الله (عز وجل)، فينهاهم عن الأكل من ضب طبخوه لأن أمه مسخت، فقلبوا القدور وأراقوا ما فيها وهم جياعٌ[١٤٦]، وكذلك الأمر حينما نحروا الحُمُرَ الأهلية يوم خيبر[١٤٧]، فضلاً عن أنه حرم عليهم يومئذ، "لحوم البغال، وكل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وحرم المجثمة[١٤٨]

(١٤٣) السوم: عرض السلعة على البيع، والمساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل ثمنها، والمنهي عنه أن يتساوم المتبايعان في السلعة ويتقارب الانعقاد فيجيء رجل آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ويخرجها من يد المشتري الأول بزيادة على ما استقر الأمر عليه بين المتساومين ورضيا به قبل الانعقاد، فذلك ممنوع عند المقاربة لما فيه من الإفساد، ومباح في أول العرض. ابن منظور: **لسان العرب**، م٣، ص٢١٥٧، مادة: (س و م).

(١٤٤) ابن حبان: **الصحيح**، ج١١، ص٣٤٠، الحديث رقم ٤٩٦٧؛ والبغوي: **حديث مصعب**، ج١، ص٨٣، الحديث رقم ١٠٩.

(١٤٥) مسلم: **صحيح مسلم**، ج١، ص٩٩، الحديث رقم١٠١؛ والترمذي: **السنن**، ج٣، ص٦٠٦، الحديث رقم١٥.

(١٤٦) ابن حنبل: **المسند**، ج٤، ص١٩٦، الحديث رقم ١٧٧٩٤.

(١٤٧) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١١٥٠، الحديث رقم٢٩٨٦؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٥٣٩، الحديث رقم ١٩٣٧.

(١٤٨) المجثمة: الشاة تشد ثم ترمى حتى تقتل. ابن سيده: **المخصص**، ج٣، ص٣١٩، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

والخلسة(١٤٩) والنهبة(١٥٠)"(١٥١).

ومن التدابير أيضًا حث الفقراء على العمل وتنفيرهم من السؤال(١٥٢)، بقوله ﷺ: "لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره فيبيعها خيرٌ له من أن يسأل رجلاً يعطيه أو يمنعه"(١٥٣)، لأن الإسلام يجل العاملين ويمجد العمل ويجعله فريضة على كل قادر لأنه من أسباب عمران الأرض، وعدة الإنسان لاستيفاء مطالب الحياة(١٥٤)، فضلاً عن أمره الفقراء بالتعفف في حالة الجدب، بقوله ﷺ لأبي ذر: "أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: تعفف"، كما أنه كره للسائل أن يأخذ من الصدقة إذا كان عنده غداء أو عشاء يشبعه يومًا وليلة، وإن كان أخذه للصدقة من غير مسألة جائزًا(١٥٥).

(١٤٩) الخلسة: ما يؤخذ سلبًا مكابرة، والمختلس الذي يخطف من غير غلبة ويهرب ولو مع معاينة المالك له. ابن حجر: **فتح الباري**، ج٢، ص٢٧٤.

(١٥٠) النُّهْبة والنُّهْبى والنُّهَيْبَى والنُّهَيْبى كله اسم الانتهاب والنهب. والنهب: الغارة والسلب أي لا يختلس شيئا له قيمة عالية. ابن منظور: **لسان العرب**، م٦، ص٤٥٥٣، مادة: (ن هـ ب).

(١٥١) ابن سعد: **الطبقات**، ج٢، ص١٦٢؛ وابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٣٢٣، الحديث رقم١٤٥٠٣.

(١٥٢) أبو داود: **السنن**، ج٣، ص٣٤٦، الحديث رقم٣٧٦٤.

(١٥٣) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٢، ص٧٢١، الحديث رقم١٠٤٢.

(١٥٤) عبدالسميع سالم الهواري: **لغة الإدارة**، ص٢٢٠.

(١٥٥) أبو داود: **السنن**، ج٢، ص١١٧، الحديث رقم ١٦٢٩؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٥، ص٧٨، الحديث رقم٦٦٨٥.

يضاف إلى ما سبق تربية المسلمين وتعليمُهم التضرعَ واللجوءَ إلى الله، فإضافةً إلى تعليم المسلمين صلاة الاستسقاء[١٥٦] نجدُ النبي ﷺ عندما أغار قوم من الأعراب على عوف بن مالك[١٥٧]، فذهبوا بابنه وإبله، وشكا له ذلك يقول له: "إن آل محمد كذا وكذا ... تسعة أبيات ما فيهم صاع من طعام ولا مد من طعام فاسأل الله عز وجل"، ففعل. فلم يلبث الرجل أن رد عليه إبله وابنه أوفر ما كانوا[١٥٨]، وما قال النبي ﷺ ما قال: " استقلالاً لرزق الله، ولكن أراد أن تأسى به أمته"[١٥٩].

ولما قدم الناس المدينة وكثروا بها عمل النبي ﷺ للحد من إقامة المهاجرين من أهل البادية في المدينة - لمواجهة المشكلات الاقتصادية - ؛ إذ شرع ﷺ في رجب سنة خمس من الهجرة في حث أهل البادية على العودة إلى ديارهم، فقال ﷺ لوفد مزينة وعددهم أربعمئة - وكانوا أول من وفدوا عليه من قبائل مضر - : "أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم، فرجعوا إلى بلادهم"[١٦٠]، كما أذن

(١٥٦) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج١، ص٣٤٣، ٣٤٧، الحديث رقم ٩٦٧، ورقم ٩٧٨.

(١٥٧) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي: أول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، وتوفي سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م). ابن خياط: **طبقات خليفة**، ص٩٥؛ والذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص٤٨٧، ٤٩١، تحقيق شعيب الأرناووط، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م.

(١٥٨) الحاكم: **المستدرك**، ج١، ص٧٢٧، الحديث رقم١٩٩٣.

(١٥٩) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٥٥٤.

(١٦٠) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٤١٤؛ وابن كثير: **البداية**، ج٥، ص٣٨.

لقبيلة أسلم في البداوة[١٦١]، بقوله ﷺ: "ابدوا يا أسلم، قالوا: يا رسول الله وإنا نخاف أن نرتد بعد هجرتنا، فقال: إنكم أنتم تهاجرون حيث كنتم"[١٦٢]، وليس هذا من التبدي المذموم الذي لا يجيب أهله إذا دعوا، فأما التبدي الذي يجيب أهله إذا دعوا إلى ما يريده النبي ﷺ فهو كالمقام بحضرته[١٦٣]، كما أن التبدي المنهي عنه هو العودة بعد الهجرة إلى البادية، والإقامة مع الأعراب من غير عذر[١٦٤].

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على عدم التضييق على أهل المدينة بإقامة أهل البادية معهم، إضافة إلى رغبته في عدم تفريغ البادية من أهلها بتركهم لديارهم وأموالهم، خاصة أن جوَّ المدينة لم يلائم كثيرًا من الوافدين عليها، ولم يوافق أبدانهم[١٦٥]، فضلاً عن رغبته ﷺ في أن ينشروا الإسلام بين أهليهم ومن يجاورهم من أحياء العرب، وبهذا التشريع الحكيم عالج النبي ﷺ جانبًا من مشكلة الغذاء التي واجهت المسلمين بعد الهجرة، وعلى المسلمين في كل بقاع الأرض إذا أرادوا القضاء على أزمة الغذاء أن يلتزموا بهذا التشريع الإلهي الحكيم.

(١٦١) ابن حجر: **فتح الباري**، ج١٣، ص٤٥.

(١٦٢) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٣٦١، الحديث رقم١٤٩٣٥.

(١٦٣) الطحاوي: **شرح مشكل الآثار**، ج٤، ص٤٣٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(١٦٤) ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث**، ج٣، ص٤٣١، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وآخر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(١٦٥) مسلم: **صحيح مسلم**، ج١، ص١٠٨، الحديث رقم١١٦، ج٣، ص١٢٩٦، الحديث رقم١٦٧١.

ثانيًا: التدابير السياسية

اتخذ النبي ﷺ لكونه الرئيس الأعلى للدولة الإسلامية، بعض التدابير السياسية التي رآها مناسبة للقضاء على مشكلة الغذاء في عصره، منها:

١ - فتح باب التطوع لتجهيز المجاهدين:

دعت الأحوال الداخلية، والمشكلات الخارجية التي مرت بها الدولة الإسلامية النبي ﷺ إلى فتح باب التطوع لمساعدة المجاهدين في سبيل الله، الذين لم يكن في مقدوره ﷺ تجهيزهم، فكان كثير من أصحاب الأموال يأتون بكل ما يملكون أو نصفه، أو جزء كبير منه، كل بقدر طوعه فكان الرجل يأتي بالمد أو المدين(١٦٦)، مما كان موضع سخرية من المنافقين ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(١٦٧).

أضف إلى ذلك إرسال القادرين بأحمال التمر إلى المسلمين وهم في ساحات القتال(١٦٨)، إذ كان التمر الطعام الرئيس لأصحاب رسول الله ﷺ في غزواتهم(١٦٩)، إضافة إلى أن الرجل كان إذا تجهز للغزو فمرض - أو منعه عذر من

---

(١٦٦) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٣، ص١٠٤٥، الحديث رقم٢٦٨٨؛ وأبو داود: **السنن**، ج٣، ص١٢، الحديث رقم ٢٥٠٩؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٢، ص٢٥٦، الحديث رقم٣٣٣٠.

(١٦٧) سورة التوبة، الآية٧٩.

(١٦٨) الواقدي: **المغازي**، ج٢، ص٥٠٠.

(١٦٩) محمد بن فارس الجميل: **الأطعمة والأشربة**، ص٣٨.

الأعذار - كان يدفع ما تجهز به لأخيه المجاهد لا يحبس عنه شيئًا منه[١٧٠].

٢ - المعاهدات مع أهل الذمة:

حرص النبي ﷺ على أن يضمّن المعاهدات التي عقدها مع أهل الذمة، ممن خضعوا للدولة الإسلامية في المدينة، بنودًا توجب عليهم توفير الطعام للمسلمين وضيافتهم، يتضح ذلك من نص الصلح الذي أبرمه النبي ﷺ مع يحنة بن رؤبة على قومه، إذ "اشترط عليهم قِرى من يمر بهم من المسلمين"[١٧١]، كما اشترط على أهل تبالة وجرش[١٧٢] ضيافة من يمر بهم من المسلمين[١٧٣]، في حين نص النبي ﷺ في صلح أهل نجران[١٧٤] على "أن يضيفوا رسل رسول الله ﷺ شهرًا فما دونه"[١٧٥].

(١٧٠) مسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٥٠٦، الحديث رقم١٨٩٤.

(١٧١) قدامة بن جعفر: **الخراج**، ص٢٧٠، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م؛ وياقوت: **معجم البلدان**، ج١، ص٢٩٢.

(١٧٢) تبالة: قرية مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن. ياقوت: **معجم البلدان**، ج٢، ص ٩، ولا تزال هذه القرية معروفة باسمها حتى الآن. هامش(٩) في: الحربي: **المناسك**، ص٦٤٤، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، وجرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة. ياقوت: **معجم البلدان**، ج٢، ص١٢٦.

(١٧٣) البلاذري: **فتوح البلدان**، ج١، ص٧٠، تحقيق: رضوان محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ؛ وياقوت: **معجم البلدان**، ج٢، ص٩.

(١٧٤) نجران: في عدة مواضع، منها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة. ياقوت: **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٦٦.

(١٧٥) البلاذري: **فتوح البلدان**، ج١، ص٧٥.

وجاء في كتاب النبي ﷺ لأهل دومة الجندل وما يليها: "لنا الضاحية من البعل، ولكم الضامنة من النخل"(١٧٦)، والضامنة: ما أطاف به سور المدينة، والضاحية: ما كان خارجًا، أي التي ظهرت وخرجت عن العمارة من هذا النخيل(١٧٧)، وهذا يبين لنا أهمية الزراعة البعلية في توفير الطعام للمسلمين.

ثالثًا: التدابير الاقتصادية

١ - الاهتمام بالزراعة:

حرص النبي ﷺ على اتخاذ بعض التدابير للنهوض بالزراعة في المدينة بهدف توفير الغذاء لأهلها والوافدين عليهم، فضلاً عما يحتاج إليه المجاهدون من المؤن، خاصة أن أهل المدينة قد اشتهروا بالعمل بالزراعة، وقد ساعدهم على ذلك تطويق الجبال والحرار البركانية لموقع المدينة، وهو ما جعل تربتها من أخصب أراضي الحجاز(١٧٨)، يضاف إلى ذلك وجود عدد كبير من الأودية التي تجري خلال الحرار بالمياه في وقت السيول(١٧٩)، والتي لم يكن لها مواسم معينة أو

(١٧٦) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٤٦٨؛ وابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج١١، ص٣٩٨، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، ط٤، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥١م.

(١٧٧) ابن منظور: **لسان العرب**، م١، ص٣١٥، مادة: (ب ع ل).

(١٧٨) عبدالله بن عبدالعزيز بن إدريس: **مجتمع المدينة**، ص١٩٤؛ ومحمد محمود محمدين: **الزراعة والري**، ص٣١٦، ضمن كتاب أبحاث تاريخ الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

(١٧٩) اليعقوبي: **البلدان**، ص٣١٢، طبع بذيل كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته، نسخة دار صادر، بيروت،(د. ت) عن طبعة بريل، ليدن، =

أوقات متقاربة، ففي حين تغزر في الشتاء والربيع تشح في الصيف[١٨٠]، وفي بعض الأحيان كانت الأمطار تتحول إلى سيول تكتسح ما يعترض طريقها وتعوق حركة السير[١٨١]، وفي الأوقات التي تشح فيها مياه الوديان أو تنقطع، وفي الأماكن التي لم تكن تصل إليها، كان الناس يستخدمون مياه الآبار في إرواء مزروعاتهم[١٨٢]، فيرفعونها من الآبار ويحملونها على أكتافهم أو على الإبل[١٨٣]، كما أن بعض أهل المدينة زاولوا الزراعة البعلية في الأراضي المرتفعة التي لا يصيبها مطر إلا مرة واحدة في السنة، ولا يصيبها سيح ولا سيل[١٨٤].

= ١٨٩٨م؛ وياقوت: **معجم البلدان**، ج١، ص٤٤٦، ج٥، ص٢٣٤؛ وجمال الدين المطري: تاريخ **المدينة الشريفة المسمى: التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، ص١٣٨، ١٣٩، تحقيق سعيد عبدالفتاح، ط١، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١٨٠) السيد عبدالعزيز سالم: **دراسات في تاريخ العرب**، ص ٣٣٦؛ وخليل عبدالكريم: **قريش من القبيلة إلى المركزية**، ص١٩٢، ط١، سينا للنشر، ١٩٩٣م.

(١٨١) البكري: **معجم ما استعجم**، ج١، ص٢٣٧؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٣، ص١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.

(١٨٢) أحمد إبراهيم الشريف: **مكة والمدينة**، ص٢٩٢؛ ومحمد محمود محمدين: **الزراعة والري**، ص٣٢٢.

(١٨٣) ابن سعد: **الطبقات**، ج١، ص٥٦٤؛ والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٨، ص١٨٧؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٧، ص١٦٠.

(١٨٤) أبو داود: **السنن**، ج٢، ص١٠٨، الحديث رقم١٥٩٦؛ وابن منظور: **لسان العرب**، م١، ص٣١٥، مادة: (ب ع ل).

من أجل ذلك حث النبي ﷺ المسلمين على اتخاذ المزارع بالمدينة بقوله: "من كان له بالمدينة أصلٌ فليتمسك به ومن لم يكن فليجعل له بها أصلا ولو قصرة"، والقصرة بالفتح والتحريك: أصل الشجرة وجمعها قصر، أراد: فليتخذ له بها ولو نخلة واحدة(١٨٥)، كما حثهم على إعمار الأراضي واستصلاحها بقوله ﷺ: "من أحيا أرضًا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم(١٨٦) حقٌ"(١٨٧)، وما"أكلت العافية منها فهو له صدقة، والعافية: المعتقون الذين يقصدون من أهل الفاقة وأبناء السبيل المنقطع منهم والسباع والطير"(١٨٨)، واحترامًا للملكية الفردية، وعدم الاعتداء عليها، يقول: "من زرع في أرض قوم بغير إذنهم فليس له من الزرع شيءٌ وله نفقته"(١٨٩).

يضاف إلى ذلك نهي النبي ﷺ عن كراء الأراضي في أول الإسلام، إذ كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف(١٩٠)،

(١٨٥) ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث**، ج٤، ص١١٢؛ وابن منظور: **لسان العرب**، م٥، ص٣٦٤٨، مادة: (ق ص ر)؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج١، ص٥١؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٣، ص٤٤١.

(١٨٦) العرق الظالم: كل ما أخذ واحتفر وغرس بغير حق. أبو داود: **السنن**، ج٣، ص١٧٩، الحديث رقم ٣٠٧٨.

(١٨٧) أبو داود: **السنن**، ج٣، ص١٧٨، الحديث رقم ٣٠٧٣؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص٤٠٥، الحديث رقم ٥٧٦١.

(١٨٨) قدامة بن جعفر: **الخراج**، ص٢١٢.

(١٨٩) ابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص٨٢٤، الحديث رقم٢٤٦٦؛ وأبو داود: **السنن**، ج٣، ص٢٦١، الحديث رقم ٣٤٠٣؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج٦، ص١٣٦، الحديث رقم١١٥٢٢.

(١٩٠) محمد سعيد البوطي: **فقه السيرة النبوية**، ص ٢٤٨، ط١٦، دار السلام، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

فقال ﷺ: "من كانت له أرضٌ فليزرعها أو ليمنحها فإن لم يفعل فليمسك أرضه"(١٩١)، وفي رواية: "فإن لم يستطع أو عجز عنها فليمنحها أخاه ولا يؤاجرها"(١٩٢)، ليعطي فرصة أكبر للمهاجرين في تعمير الأرض وزراعتها والاهتمام بها، وتوفير ما يحتاجون إليه من الغذاء من طريق الجد والعمل بأنفسهم.

وللمحافظة على المراعي نجد النبي ﷺ ينهى عن قطع الأشجار التي يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثًا وظلمًا بغير حق يكون للقاطع فيها، أو لم يكن هناك حاجة إلى قطعها بقوله: " من قطع سدرة(١٩٣)، صوب الله رأسه في النار"(١٩٤)، ولذا لما شكا بنو حارثة من الأنصار من تقطيع أشجار الغابة(١٩٥) – عقب العودة من غزوة ذي قرد سنة (٧هـ/ ٦٢٨م) – وقالوا: "يا رسول الله ههنا مسارح إبلنا، ومرعى غنمنا، ومخرج نسائنا... فقال رسول

(١٩١) ابن حنبل: **المسند**، ج٤، ص١٦٩، الحديث رقم ١٧٥٧٤؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٨٢٤، الحديث رقم ٢٢١٥؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١١٧٦، الحديث رقم١٥٣٦.

(١٩٢) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٣٠٢، الحديث رقم١٤٢٨٠؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١١، ص٥٤٩، الحديث رقم ٥١٤٨.

(١٩٣) السدر: شجر النبق، واحدته: سدرة. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص٣٠٦، مادة: (س د ر).

(١٩٤) أبو داود: **السنن**، ج٤، ص٣٦١، الحديث رقم ٥٢٣٩.

(١٩٥) الغابة: موضع مشهور في شمال المدينة، وما زالت معروفة بهذا الاسم مرسومة به على خرائط المدينة الجغرافية. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: **معجم الأمكنة**، ص٣٣٨.

الله ﷺ: من قطع شجرة فليغرس مكانها ودية فغرست الغابة"(١٩٦).

ولما في الإقطاع(١٩٧) من تعمير للأرض وتحقيق لمصالح المسلمين، فقد أقطع النبي ﷺ أكثر من خمسين رجلاً، ووصل عدد القبائل إلى إحدى وعشرين(١٩٨)، وتوزعت القطائع على أكثر من تسعين موضعًا في الحجاز وخارجه، أما في الحجاز فقد جعل الأنصار للنبي ﷺ كل أرض لا يبلغها الماء - في المدينة - يصنع بها ما يشاء(١٩٩)، وأما في خارج المدينة فقد كان تصديقًا لوعد الله بفتح هذه البلاد التي أقطع فيها ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم(٢٠٠)، وقد كان النبي ﷺ يشترط على بعض المقطَعين إطعام الفقراء والمساكين من الإقطاع، وآية ذلك أمران:

---

(١٩٦) البلاذري: **فتوح البلدان**، ج١، ص٢٣.

(١٩٧) يقصد بإقطاع الأرض أن تقطع الدولة أرضًا من أراضيها لبعض مواطنيها دون مقابل. قطب إبراهيم محمد: **السياسة المالية**، ص١٥٨.

(١٩٨) إبراهيم علي طرخان: **النظام الإقطاعي الإسلامي**، ص٢٨٥، ضمن كتاب أبحاث الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين؛ ومحمد محمود محمدين: **الزراعة والري**، ص٣٢٧.

(١٩٩) ابن سلام: **الأموال**، ص٣٦٧، ٣٧٤، تحقيق: محمد عمارة، ط١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م؛ وابن شبة: **تاريخ المدينة**، ج١، ص ٩٧، ١٤١؛ والبلاذري: **فتوح البلدان**، ج١، ص١٠٢؛ وقدامة بن جعفر: **الخراج**، ص٢١٤، ٢٨١.

(٢٠٠) ابن سلام: **الأموال**، ص ٣٦٨، ٣٧٢؛ وابن حنبل: **المسند**، ج٤، ص٣٠٣، الحديث رقم١٨٧١٦؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٥، ص٢٦٩، الحديث رقم٨٨٥٨؛ والماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص١٦٥.

أولهما: لما أقطع النبي ﷺ راشد بن عبد ربه[٢٠١]، قطيعة برهاط[٢٠٢] "أعطاه إداوة مملوءة من ماء، وتفل فيها، وقال له: "أفرغها في أعلى القطيعة ولا تمنع الناس فضولها". ففعل. فجاء الماء عيناً جمة، فغرس عليها النخل ويقال: إن رهاط كلها تشرب منه، وسماه الناس: ماء الرسول، وأهل رهاط يغتسلون منه ويستشفون به[٢٠٣].

ثانيهما: أقطع رسول الله ﷺ الغميم[٢٠٤]، لأوفى بن موالة العنبري[٢٠٥]، "وشرط عليه إطعام ابن السبيل والمنقطع وكتب له كتابًا في أديم أحمر"[٢٠٦].

(٢٠١) راشد بن عبد ربه السلمي: كان اسمه غاوي بن عبدالعزى، أسلم وعقد له ﷺ على قومه، وشهد غزوة الفتح وما بعدها، وقال عنه ﷺ: "هو خير بني سليم". ابن كثير: **البداية**، ج٥، ص٨٣؛ وابن حجر: **الإصابة**، ج٢، ص٤٣٤.

(٢٠٢) رهاطٌ: قرية جامعة على ثلاثة أميال من مكة، لا تزال معروفة. الحربي: **المناسك**، ص٣٤٩، هامش(٢)؛ والبكري: **معجم ما استعجم**، ج٢، ص٢٦٨.

(٢٠٣) ابن كثير: **البداية**، ج٥، ص٨٣؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٤، ص١٢٢٥؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج١٠، ص ٣٦، ٣٧.

(٢٠٤) الغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة. ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص٢٢٤؛ وتعرف اليوم ببرقاء الغميم، ذلك أنها برقاء في تكوينها. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: **معجم الأمكنة**، ص٣٤٢.

(٢٠٥) أوفى بن موالة العنبري: لم أعثر له على ترجمة فيما رجعت إليه من مصادر.

(٢٠٦) ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص٢١٤؛ والسمهودي: **وفاء الوفا**، ج٤، ص١٢٨٧، ١٢٨٩.

وحتى لا تصاب مزارع خيبر بالبور والخراب، لانشغال المسلمين بالجهاد، ونشر الإسلام، وحاجة هذه المزارع إلى الأيدي العاملة الكثيرة المدربة لاستغلالها، وحسن القيام عليها ورعايتها، نجد النبي ﷺ يستعين بأهل الخبرة من اليهود، ويقبل بقاءهم في خيبر، مقابل أن يكفوا المسلمين العمل في تلك المزارع(٢٠٧)، وعاملهم على الشطر من الثمر والحب، وقال: "أقركم ما أقركم الله"(٢٠٨)، كما أنه عامل أهل وادي القرى(٢٠٩)، وتيماء(٢١٠)، على نحو ما عامل عليه أهل خيبر، فترك النخل والأرض في أيديهم(٢١١).

من أجل تلك التدابير نشط المهاجرون في مجال العمل بالزراعة، سواء في أراضي الأنصار مع ملاكها(٢١٢)، أو مع

(٢٠٧) محمد حسين هيكل: **حياة محمد**، ص٣١٣؛ ومحمد محمود محمدين: **الزراعة والري**، ص٣٢٠.

(٢٠٨) الواقدي: **المغازي**، ج٢، ص ٦٩٠؛ والبلاذري: **فتوح البلدان**، ج١، ص٣٦؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج٤، ص ١٢٢، الحديث رقم٧٢٢٨.

(٢٠٩) وادي القرى: واد بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر. ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ص٣٣٨؛ ويعرف اليوم بوادي العلا، ومدينة العلا أشرف مدن هذا الوادي. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: **معجم الأمكنة**، ص٤٤٥.

(٢١٠) تيماء: مدينة في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية على بعد(٤٧٦كم) شمال المدينة. سعد بن عبدالله ابن جنيدل: **معجم الأمكنة**، ص١١٤.

(٢١١) البلاذري: **فتوح البلدان**، ج١، ص٤٧؛ وقدامة بن جعفر: **الخراج**، ص٢٦١.

(٢١٢) محمد حسين هيكل: حياة محمد، ص١٨٨؛ ومحمد جمال الدين سرور: **قيام الدولة العربية**، ص٩٤، دار الفكر العربي، القاهرة،(د. ت)؛ وجعفر ميرغني أحمد: **مباحث في تاريخ المدينة**، ص٢٨١.

غيرهم من اليهود ؛ إذ كانوا يمتلكون مساحات واسعة من الأرض بالمدينة، ولم ينههم النبي ﷺ عن هذا العمل[٢١٣]، وإضافة إلى ذلك استصلحوا الأراضي، فأصبح لبعضهم بساتين وحدائق كثيرة[٢١٤]، على أن التمر كان من أهم محصولات المدينة، ويأتي بعده الشعير، الذي كان يزرع في بساتين النخيل أحيانًا، وفي حقول مستقلة غالبًا[٢١٥]، ومنه يحصلون على خبزهم، وقد كان يساوي ربع محصول التمر على الراجح، إذ لم يكن القمح منتشرًا بالمدينة[٢١٦].

ولولا الفتوحات الإسلامية التي انشغل بها المهاجرون والأنصار لاتسعت الرقعة الزراعية بالمدينة، وتحولت المدينة إلى بساتين ومزارع، تمون الأماكن البعيدة عنها بالتمور والخضراوات والفاكهة[٢١٧]، ويضاف إلى ما سبق أنه كان لانتصار المسلمين في خيبر أن أصبح لدولتهم الناشئة أراض مملوكة خارج المدينة، يجبون منها الخراج[٢١٨]، إضافة إلى

(٢١٣) أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، ج١، ص٤٠٣؛ وعبدالباسط بدر: **التاريخ الشامل**، ج١، ص ٢٢٦.

(٢١٤) ابن سعد: **الطبقات**، ج٣، ص١٢٤؛ وابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج٢٥، ص١٠٣.

(٢١٥) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص ٢٠٧؛ وابن شبة: **تاريخ المدينة**، ج١، ص١١١؛ واليعقوبي: **البلدان**، ص٣١٣.

(٢١٦) أحمد إبراهيم الشريف: **مكة والمدينة**، ص٢٩٣؛ وصالح أحمد العلي: **الحجاز**، ص١٧٣، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م؛ وعبدالباسط بدر: **التاريخ الشامل**، ج١، ص٢٢٦.

(٢١٧) جواد علي: **المفصل**، ج٧، ص٤٢، ط٢، (د.م)، (د.ن)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ومحمد محمود محمدين: **الزراعة والري**، ص٣٢٢.

(٢١٨) محمد جمال الدين سرور: **قيام الدولة العربية**، ص١٤٩.

استثمارهم مياه وادي المشقق، فهو "أخصب ما بين يديه وما خلفه"، كما أخبر النبي ﷺ بذلك(٢١٩).

٢ - الاهتمام بتربية الحيوان:

ولما كانت اللحوم والألبان من المصادر الغذائية، فقد أولى العربي تربية الحيوانات اهتمامًا خاصًا، إضافة إلى الاهتمام بالمناطق الرعوية الطبيعية، لما توفره من غذاء لهذه الأنعام(٢٢٠)، ولذلك كان من بين التدابير التي اتخذها النبي ﷺ لعلاج مشكلة الغذاء الاهتمام بتلك المراعي، ولم لا وقد كان الرعي مهنته - ومهنة الأنبياء قبله - قبل بعثته ﷺ؛ من أجل ذلك حمى الأراضي لمواشي المسلمين ، التي كان الصحابة يتناوبون في رعايتها(٢٢١)، وكان لها أيضًا رعاة يأخذون الأجر على رعيها(٢٢٢)، خاصة وقد ازدادت تلك الثروة نتيجة الغنائم ؛ وهو ما جعلها هدفًا للإغارة عليها من أهل البادية(٢٢٣).

---

(٢١٩) ابن هشام: **السيرة النبوية**، م٢، ص٥٢٧؛ والطبري: **تاريخ الرسل**، ج٣، ص١١٠.

(٢٢٠) عبدالباسط بدر: **التاريخ الشامل**، ج١، ص٢٣٣؛ وبشير إبراهيم بشير: **الطعام في الحياة الاقتصادية**، ص٢٥٣.

(٢٢١) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٨٩، ٨٣٥، الحديث رقم٢١٤٣، ورقم ٢٢٤١؛ وابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص٧٢٧، الحديث رقم٢١٤٩؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٢، ص٤٣٣، الحديث رقم٣٥٠٧؛ والماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص١٦٠.

(٢٢٢) عبدالباسط بدر: **التاريخ الشامل**، ج١، ص٢٣٣.

(٢٢٣) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص١٢، ج٢، ص٥٣٧؛ وابن هشام: **السيرة النبوية**، م١، ص٦٠١؛ وابن كثير: **البداية**، ج٤، ص١٥١؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج٥، ص١٤٩.

٣ - الاهتمام بالصيد:

لقد أمعن العرب في طلب الصيد حتى امتدت أيديهم إلى كل ما دب في قفارهم وفيافيهم، ولم يفلت من بين أيديهم إلا القليل(٢٢٤)، ولذلك كانت معرفة أحكام الصيد من الأمور التي حرص الصحابة على السؤال عنها، ومن ثم نزلت آيات بينات على قلب النبي ﷺ تجيب عن تلك الأسئلة وتوضح لهم ما يحل لهم وما يحرم عليهم منه(٢٢٥)، كما بين النبي ﷺ للسائلين طريقة التصرف في الصيد(٢٢٦)، يضاف إلى ذلك أنه ﷺ كان يشجع أصحابه على الصيد، ويدلهم عليه، فقال لأحدهم - وكان يذهب بعيدًا بحثًا عن الصيد -: "لو كنت تذهب إلى العقيق لشيعتك ذاهبًا وتلقيتك راجعًا"(٢٢٧)، ولما رأى ﷺ بتربان(٢٢٨) ظبيًا، قال لسعد بن أبي وقاص: "يا سعد انظر إلى الظبي"، فرماه بسهم فما أخطأ عن نحره(٢٢٩).

(٢٢٤) بشير إبراهيم بشير: **الطعام في الحياة الاقتصادية**، ص٢٥٣.

(٢٢٥) انظر على سبيل المثال ما جاء في سورة المائدة، في الآيات: ٤، ٩٥، ٩٦.

(٢٢٦) انظر على سبيل المثال قول النبي ﷺ لعدي بن حاتم، ولأبي ثعلبة الخشني في: البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٥، ص٢٠٨٩، ٢٠٩٠، الحديث رقم٥١٦٦، ورقم ٥١٧٠؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٥٢٩، ١٥٣٢، الحديث رقم١٩٢٩، ورقم١٩٣٠؛ وأبو داود: **السنن**، ج٣، ص١٠٩، الحديث رقم ٢٨٥٠؛ وابن الجارود: **المنتقى**، ج١، ص ٢٣٠، الحديث رقم٩١٦.

(٢٢٧) ابن شبة: **تاريخ المدينة**، ج١، ص ٩٥.

(٢٢٨) تربان: واد بين ذات الجيش وملل، به مياه كثيرة على ثمانية عشر ميلاً من المدينة على طريق مكة. البكري: **معجم ما استعجم**، ج١، ص٢٧٧؛ وياقوت: **معجم البلدان**، ج٢، ص٢٠.

(٢٢٩) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص٢٦، ٢٧.

ولما نفد زادهم في غزوة تبوك، واشتهوا اللحم وهم لا يجدونه، استأذن رافع بن خديج[٢٣٠] النبي ﷺ في الصيد، فأذن له على أن يسير في نفر من أصحابه، فذهبوا، ثم جاؤوا بصيد كثير من الحمر الوحشية، والظباء، والنعام، فأمرهم النبي ﷺ أن يفرقوه في أصحابهم، فجعلوا يعطون القبيلة بأسرها الحمار والظبي، حتى كان الذي صار لرسول الله ﷺ ظبيٌ واحدٌ مذبوحٌ، فأمر به فطبخ فلما نضج دعا به - وعنده أضيافٌ - فأكلوا[٢٣١]، وهذا يدل على كثرة الصيد.

ولما علم ﷺ أن الممسوخ لا نسل له أذن لأصحابه في أكل لحم الضب، ولم يأكل منه لأنه كان يتقذره[٢٣٢]، وعندما سئل: "أحرامٌ هو؟ قال: لا، ولكنه طعامٌ ليس في أرض قومي فأجدني أعافه"[٢٣٣]، في حين قال ﷺ لهم عن صيد البحر: "أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان: فالجراد والحوت.."[٢٣٤]، وفي رواية ثانية: "السمك والجراد"[٢٣٥].

---

(٢٣٠) رافع بن خديج بن رافع الأنصاري: كان عريف قومه بالمدينة، وشهد أحدًا والخندق، توفي في المدينة سنة (٧٤هـ/٦٩٣م). ابن حجر: **الإصابة**، ج٢، ص٤٣٦؛ والزركلي: **الأعلام**، ج٣، ص١٢.

(٢٣١) الواقدي: **المغازي**، ج٣، ص١٠٣٥، ١٠٣٦.

(٢٣٢) ابن حجر: **فتح الباري**، ج٩، ص٥٨٣.

(٢٣٣) النسائي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص١٥٦، الحديث رقم٤٨٢٩.

(٢٣٤) ابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص١٠٧٣، الحديث رقم ٣٢١٨؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج١، ص٢٥٤، الحديث رقم ١١٢٩.

(٢٣٥) بدر الدين العيني: **شرح سنن أبي داود**، ج١، ص٢٣٣، تحقيق: خالد إبراهيم حسن، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤ - الاهتمام بالتجارة:

ومن التدابير التي اتخذها النبي ﷺ تشجيع تجارة الطعام مبيناً ما يتعلق بها من أحكام(٢٣٦)، مما أدى إلى رواج التجارة بالمدينة لدرجة أن عاتب فيها القرآن الكريم المسلمين(٢٣٧)، يضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ جعل لأهل المدينة سوقاً ضرب موضعه برجله، وقال: "هذا سوقكم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج"(٢٣٨)، وقد ساعدت مجانية السوق لكل من يريد التجارة(٢٣٨) ـ فضلاً عن تنظيمه بجعل الحبوب في ناحية، والحيوانات في الناحية الأخرى - على تدفق التجار من جميع الجهات للاتجار في المدينة(٢٤٠).

رابعًا: التدابير الاجتماعية

جعل النبي ﷺ من قضية الغذاء قضية عامة تشغل بال جميع المسلمين، حين نفى الإيمان الكامل عمن بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع وهو يعلم بذلك(٢٤١)، ومن ثم كانت التدابير الاجتماعية لحل تلك المشكلة تسير في عدة محاور، منها:

(٢٣٦) يمكن مطالعة تلك الأحكام على سبيل المثال في: ابن حجر: فتح **الباري**، ج٤، ص ٣٣٦، وما بعدها؛ والشوكاني: **نيل الأوطار**، ج٥، ص١٤١، وما بعدها.

(٢٣٧) بشير إبراهيم بشير: **الطعام في الحياة الاقتصادية**، ص٢٦٦.

(٢٣٨) ابن شبة: **تاريخ المدينة**، ج١، ص١٨٣.

(٢٣٩) عبدالباسط بدر: **التاريخ الشامل**، ج١، ص٢٣٦.

(٢٤٠) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص ٣٩٥، ج٢، ص٩٨٩، ٩٩٠؛ وابن هشام: **السيرة النبوية**، م٢، ص١٠٣.

(٢٤١) الحاكم: **المستدرك**، ج٤، ص١٨٤، الحديث رقم٧٣٠٧؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج١٠، ص٣، الحديث رقم ١٩٤٥٢.

١ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

وهي ثاني الأسس التي قام عليها المجتمع الإسلامي في المدينة، ونتج عنها عرض الأنصار على المهاجرين أن يشاركوهم في ديارهم وأموالهم، وأن يفارقوا لهم بعض نسائهم ليتخذوهن أزواجًا لهم(٢٤٢)، وكان المهاجر يرث الأنصاري دون ذوي رحمه؛ للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ نسخ الميراث، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾(٢٤٣)، من النصر والنصيحة والرفادة ويوصى لهم(٢٤٤).

يضاف إلى ذلك عرض الأنصار على النبي ﷺ أن يقسم بينهم وبين إخوانهم من المهاجرين النخيل، فقال لهم: لا، فعرضوا على المهاجرين أن يكفوهم الخفيف من العمل، ويشاركوهم في الثمرة، فقبلوا(٢٤٥).

---

(٢٤٢) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٧٢٢، الحديث رقم١٩٤٤؛ والترمذي: **السنن**، ج٤، ص٣٢٨، الحديث رقم ١٩٣٣؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٣، ص١٦، الحديث رقم ٤٢٩٠؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج٧، ص٢٣٦، الحديث رقم ١٤١٤٠.

(٢٤٣) سورة النساء، الآية٣٣.

(٢٤٤) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٦٧١، الحديث رقم٤٣٠٤؛ وابن الجارود: **المنتقى**، ج١، ص٢٣٩، الحديث رقم٩٥٣؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٢، ص٣٣٥، الحديث رقم٣١٩٦.

(٢٤٥) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٨١٩، الحديث رقم٢٢٠٠؛ وابن شبة: **تاريخ المدينة**، ج١، ص٢٦٥.

٢ - صرف طعام لأهل الصفة:

كان النبي ﷺ يجري على أهل الصفة طعامًا ثابتًا، لكل اثنين منهم"كل يوم مدٌّ من تمر"(٢٤٦)، فإذا لم يكن عنده ما يكفي قسم بينهم ما يجد، وكان بعضهم يسعد إذا كان في نصيبه حشف(٢٤٧)، يقول أبو هريرة عن ذلك: "فأصاب كل إنسان منا سبع تمرات فيهن حشفةٌ فما سرني أن لي مكانها تمرة جيدة"، فقيل له: لم؟ قال: "تشد لي من مضغي"(٢٤٨).

كما كان ﷺ يشتري الأغنام من الأعراب، ويذبحها ويطعم أصحابه منها(٢٤٩)، بل إن الرجل أحيانًا كان يأتي النبي ﷺ يسأله، فيقول له: "ما عندي شيء، ولكن ابتع عَلَيَّ فإذا جاءني شيء قضيته"(٢٥٠).

(٢٤٦) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٤٨٧، الحديث رقم ١٦٠٣١.

(٢٤٧) الحشف من التمر: اليابس الفاسد من التمر، وقيل: الضعيف الذي لا نوى له كالشيص، لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة. ابن منظور: **لسان العرب**، م٢، ص٨٨٧، مادة: (ح ش ف).

(٢٤٨) ابن حنبل: **المسند**، ج٢، ص٣٢٤، الحديث رقم ٨٢٨٤؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٤، ص١١٩، الحديث رقم ٧٠٧٩.

(٢٤٩) ابن حنبل: **المسند**، ج١، ص١٩٨، الحديث رقم١٧١١؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٩٢٣، الحديث رقم ٢٤٧٤؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٦٢٦، الحديث رقم٢٠٥٦، والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٨، ص٢٠٨.

(٢٥٠) الترمذي: **الشمائل المحمدية**، ص٢٩٤، الحديث رقم ٣٥٦، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣ - الدعوة إلى الصدقة:

أكد النبي ﷺ أهمية الصدقات مصدرًا من مصادر التكافل الاجتماعي بين المسلمين، وأحد التدابير لعلاج مشكلة الغذاء؛ فكان يقول - على سبيل المثال -: "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربعٌ فخامسٌ أو سادسٌ"، وعقب هذه الدعوة انطلق النبي ﷺ بعشرة من الفقراء، وأبو بكر الصديق بثلاثة(٢٥١)، كما أنه ﷺ كان يتأثر لما يرى بأصحابه من الفاقة، وليس عنده ما يعطيهم منه، "فيتمعر وجهه"، ويدعو إلى الصدقة ويحث عليها، فيسره ما يرى من سرعة استجابة المسلمين لدعوته، فيتهلل وجهه "كأنه مذهبة"(٢٥٢).

وقد أثرت هذه الأحاديث في المسلمين فجعلتهم يُؤْثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فكان بعضهم يطوي بطنه وأهله على الجوع ويطعم ضيف رسول الله ﷺ، بأفعال عجب الله (عز وجل) أو ضحك منها(٢٥٣)، وأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٢٥٤)،

(٢٥١) ابن حنبل: **المسند**، ج١، ص١٩٨، الحديث رقم١٧١٢؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج١، ص٢١٦، الحديث رقم ٥٧٧؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٦٢٧، الحديث رقم٢٠٥٧.

(٢٥٢) ابن حنبل: **المسند**، ج٤، ص٣٥٨، الحديث رقم ٩١٩٧؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٢، ص٧٠٤، ٧٠٥، الحديث رقم١٠١٦؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج٨، ص١٠١، الحديث رقم ٣٣٠٨.

(٢٥٣) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٨٥٤، الحديث رقم ٤٦٠٧؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٦٢٤، الحديث رقم ٢٠٥٤؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٤، ص١٤٥، الحديث رقم٧١٧٦.

(٢٥٤) سورة الحشر، الآية ٩.

في حين كان سعد بن عبادة يعشي كل ليلة ثمانين من أهل الصفة[٢٥٥].

وقد كان هذا دأبهم في الحضر والسفر، حتى إن بعضهم كان يشتري الجزر في السفر ويطعم إخوانه لما أصابتهم مخمصة وليس عنده مال يؤدي منه، وآية ذلك ما صنعه قيس بن سعد[٢٥٦] في سرية الخبط، فقد نحر للقوم ثلاث مرات في كل مرة ثلاث جزائر، ثم نهاه أبو عبيدة بن الجراح قائد السرية، لأن قيسًا كان يشتري ولا مال له إنما المال لأبيه[٢٥٧].

فلا عجب بعد ذلك أن نجد النبي ﷺ يثني على قوم من أصحابه بقوله: "إن الأشعريين[٢٥٨] إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم"[٢٥٩].

(٢٥٥) ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج٢٠، ص٢٦٢؛ والذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج١، ص٢٧٦؛ وابن حجر: **الإصابة**، ج٣، ص٦٦.

(٢٥٦) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي: من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، كان بين يدي النبي ﷺ بمنزلة الشرطي من الأمير، ولي مصر، وتوفي سنة (٦٠هـ/ ٦٨٠م). ابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، ج٤٩، ص٣٦٩، ٤٣٤؛ وابن حجر: **الإصابة**، ج٥، ص٤٧٣، ٤٧٤.

(٢٥٧) الواقدي: **المغازي**، ج٢، ص٧٧٥، والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٨٥، الحديث رقم ٤١٠٣؛ وابن قيم الجوزية: **زاد المعاد**، ج٣، ص٣٨٩.

(٢٥٨) الأشعريون: بنو أشعر بن نبت بن أدد، بطن من كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ابن هشام: **السيرة النبوية**، م١، ص٨.

(٢٥٩) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٢، ص٨٨٠، الحديث رقم٢٣٥٤؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٤، ص١٩٤٤، الحديث رقم٢٥٠٠؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج١٠، ص١٣٢، الحديث رقم٢٠٢٢٣.

يضاف إلى ذلك حثه ﷺ على حبس الصدقات على الفقراء والمساكين[٢٦٠]، وجعله من نفسه ﷺ أسوة للمسلمين، حين تصدق بسبعة حوائط تركها له مخيريق يصنع فيها ما شاء[٢٦١]، وحينما استأمره عمر بن الخطاب في صدقته، قال له: " احبس أصلها وسبِّل ثمرتها"[٢٦٢].

٤ - إجابة الدعوة وقبول الهدية:

كان كثير من أهل المدينة يدعون النبي ﷺ لتناول الطعام عندهم فكان ﷺ يجيب الدعوة، فإذا تبعه نفرٌ من الفقراء أطعمهم معه[٢٦٣]، وأحيانًا كان يدعوهم للذهاب معه، وكان ﷺ يقبل الهدايا ويوزع جلها على أصحابه[٢٦٤]، وفي بعض الأحيان كان النبي ﷺ يأخذهم ويذهب بهم إلى دار أحد

---

(٢٦٠) ابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص٨٠١، الحديث رقم٢٣٩٦.

(٢٦١) ابن شبة: **تاريخ المدينة**، ج١، ص١١٠؛ والبلاذري: **فتوح البلدان**، ج١، ص٣١.

(٢٦٢) النسائي: **السنن الكبرى**، ج٤، ص٩٤، الحديث رقم٦٤٣٠؛ وابن خزيمة: **الصحيح**، ج٤، ص١١٩، الحديث رقم ٢٤٨٦، تحقيق: محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١١، ص٢٦٢، الحديث رقم٤٨٩٩.

(٢٦٣) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص٣٠٠، الحديث رقم ١٤٢٤٩؛ والبخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٠٥، الحديث رقم ٣٨٧٦؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٦٠٩، الحديث رقم ٢٠٣٧، ج٤، ص١٧٨٤، الحديث رقم٢٢٨٠؛ والدارقطني: **السنن**، ج٤، ص٢٨٦، الحديث رقم ٥٥، تحقيق: السيد عبدالله هاشم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م؛ والبيهقي: **السنن الكبرى**، ج٦، ص٩٧، الحديث رقم ١١٣٠٨.

(٢٦٤) الأصفهاني: **أخلاق النبي**، ج٣، ص٤٧٥؛ والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٨، ص٢٠٨.

الأغنياء من الأنصار، فيأكلون ويشربون عنده، ويسعده زيارة النبي ﷺ له في داره(٢٦٥).

خامسًا: معجزات النبي ﷺ

أيد الله عز وجل النبي ﷺ بكثير من الآيات في تكثير الطعام والبركة فيه، نذكر - لضيق الدراسة - بعضها على سبيل الاستدلال:

١ - استجابة الله لدعاء رسوله ﷺ فنصره "يوم بدر سنة (٢هـ/ ٦٢٤م)، فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجلٌ إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا"(٢٦٦)، وأصابوا طعامًا من أزواد قريش، وأصابوا فداء الأسرى فأغنى به كل عائل من أصحابه(٢٦٧).

وفي خيبر سنة (٧هـ /٦٢٨م) فتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ، وكان فيه ألوان مختلفة من الأطعمة - لم تخطر لهم على بال - من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودك والماشية(٢٦٨)، كما ساق الله عز وجل - ببركة دعائه ﷺ - لأصحابه في سرية الخبط

(٢٦٥) الترمذي: **السنن**، ج٤، ص٥٨٤، الحديث رقم٢٣٦٩؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٤، ص١٤٥، الحديث رقم٧١٧٨.

(٢٦٦) أبو داود: **السنن**، ج٣، ص٧٩، الحديث رقم٢٧٤٧؛ والحاكم: **المستدرك**، ج٢، ص١٤٤، الحديث رقم٢٥٩٦؛ والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٧، ص٢٥.

(٢٦٧) الواقدي: **المغازي**، ج١، ص٢٦.

(٢٦٨) الواقدي: **المغازي**، ج٢، ص ٦٥٨، ٦٦٤؛ وابن هشام: **السيرة النبوية**، م٢، ص٣٣٢.

"دابة يقال لها العنبر"، فكفاهم نصف شهر حتى ثابت إليهم أجسامهم"[٢٦٩]، وقيل: "ثمانية عشر يومًا"[٢٧٠].

كذا نجد النبي ﷺ في غزوة تبوك يبسط نطعًا[٢٧١]، ثم يدعو أصحابه أن يأتوه بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيءٌ يسيرٌ، فدعا ﷺ "عليه بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم... فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا مملوءة ... فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلةٌ"[٢٧٢]، وهذا من فرط إشفاقه ﷺ على أمته، فكثيرًا ما كان يستعين بالدعاء والتضرع إلى الله ليسبغ نعمه وفضله على المسلمين[٢٧٣].

٢ - البركة في الطعام حتى إن أقراصًا من شعير أرسلت بها أم سُليم، أكل منها النبي ﷺ وسبعون أو ثمانون رجلاً من

---

(٢٦٩) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٨٥، الحديث رقم ٤١٠٣؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج٣، ص١٥٣٦، الحديث رقم١٩٣٥؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص١٦٤، الحديث رقم٤٨٦٤؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٢، ص٦٣، الحديث رقم ٥٢٥٩.

(٢٧٠) ابن ماجه: **السنن**، ج٢، ص١٣٩٢، الحديث رقم٤١٥٩؛ والنسائي: **السنن الكبرى**، ج٣، ص١٦٤، الحديث رقم ٤٨٦٣.

(٢٧١) النطع: بساط من الجلد،(ج) أنطاع، ونطوع. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص٦٢١، مادة: (ن ط ع).

(٢٧٢) ابن حنبل: **المسند**، ج٣، ص١١، الحديث رقم١١٠٩٥؛ ومسلم: **صحيح مسلم**، ج١، ص٥٦، الحديث رقم٢٧؛ وابن حبان: **الصحيح**، ج١٤، ص٤٦٤، ٤٦٥، الحديث رقم٦٥٣٠.

(٢٧٣) بشير إبراهيم بشير: **الطعام في الحياة الاقتصادية**، ص٢٦٦.

أصحابه حتى شبعوا(٢٧٤)، وكذلك الأمر في طعام جابر بن عبدالله، حتى إن صاعًا من الشعير وعناقا شبع منهما أهلِ الخندق، وهم ألف من المهاجرين والأنصار، وبقي بقيةٌ، فقال النبي ﷺ لزوجة جابر: "كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة"(٢٧٥)، يقول جابر: "فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع"(٢٧٦)، وكذلك كفى تمر عمر بن الخطاب - القليل - وفد مزينة، وكانوا أربعمئة رجل ببركته ﷺ(٢٧٧).

(٢٧٤) النسائي: **السنن الكبرى**، ج٤، ص١٤٢، الحديث رقم ٦٦١٧.

(٢٧٥) ابن حجر: **فتح الباري**، ج٧، ص٤٥٧؛ والصالحي: **سبل الهدى**، ج١٠، ص٨٢.

(٢٧٦) البخاري: **الجامع الصحيح**، ج٤، ص١٥٠٥، الحديث رقم ٣٨٧٦.

(٢٧٧) ابن حنبل: **المسند**، ج٥، ص٤٤٥، الحديث رقم ٢٣٧٩٧؛ والنويري: **نهاية الأرب**، ج١٨، ص٢٠٩.

الخاتمة:

وبعد هذا العرض نستطيع أن نختم هذه الدراسة بتأكيد عدة نتائج، منها:

تبين أن مشكلة الغذاء لم تستمر أيامًا أو شهورًا، وإنما استمرت بضع سنين، وأن أسبابها داخلية أكثر منها خارجية، وأن المسلمين حققوا أعظم انتصاراتهم وهم جياع، وأن التمر كان الغذاء الرئيس لأغلب أصحاب النبي ﷺ في السفر والحضر، ومنه كان النبي ﷺ يجري طعامًا ثابتًا لأهل الصفة.

أن من أسباب مشكلة الغذاء كثرة عدد المسلمين الذين كانوا يزدادون يومًا بعد يوم، إضافة إلى جدب الأرض وشح الأمطار أو كثرة أضياف النبي ﷺ، وإصابة المحاصيل الزراعية بالتلف، وغلاء أسعارها.

على الرغم من شدة الأزمة نجد النبي ﷺ يلتزم بالتشريع الإلهي المحكم، فيحل لأصحابه الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، إضافة إلى بيان القدر الواجب عليهم في الزكاة والكفارات، وما يتعلق بأحكام الصيد، وتنظيم التجارة، وتقسيم الغنائم، وبيان أن من أسباب الجوع وقلة الثمار عدم امتثال الأغنياء لأوامر الله عز وجل في أموالهم.

يضاف إلى ذلك حرص النبي ﷺ على النهوض بالزراعة، من طريق زيادة الرقعة الزراعية، بإقطاع الأراضي، والحث على إحيائها، والنهي عن اغتصاب أرض الآخرين، وكذلك

النهي عن العبث بما على الأراضي من زروع وثمار، بالإضافة إلى الاستعانة بأهل الخبرة في الزراعة، فضلاً عن الاهتمام بالمراعي وتربية الحيوان.

كذلك حرص النبي ﷺ على ترابط أفراد المجتمع من طريق المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والدعوة إلى الصدقة، وإجابة الدعوة وقبول الهدية، وحث الفقراء على التعفف، وحث الأغنياء على البذل والإنفاق.

أضف إلى ذلك أن النبي ﷺ ضمّن المعاهدات التي أبرمها مع أهل الذمة بنودًا تنص على عدم منعهم المواد الغذائية عن المسلمين أثناء عبورهم لأراضيهم لأنهم إذا أدوا الجزية لم يَحِلَّ شيء من أموالهم إلا بطيب أنفسهم.

إن المشكلات الاقتصادية التي أصابت الدولة الإسلامية في بدء نشأتها تدحض ادعاءات بندلي جوزي الذي يزعم: "أن الإسلام لم يكن حركة دينية، إذ لم يكن فيه دينٌ إلا الظاهر، أما الجوهر فإنه كان سياسيًا واقتصاديًا، ... أو بالأحرى هو مسألة اقتصادية واجتماعية أكثر منه فكرة دينية، .. وأن القبائل العربية وسكان مكة والمدينة أقبلوا عليه ودخلوا فيه لأسباب غير دينية؛ إذ عرف العبقري مؤسس الدين الإسلامي كيف يستفيد من الحركة الاقتصادية والاجتماعية التي ظهرت في أيامه، ويسخرها لأغراضه السامية"؟!!(٢٧٨).

(٢٧٨) بندلي جوزي: **من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام**، ص١٢، ١٣، مطبعة بيت المقدس، القدس، (د. ت).

وأخيرًا، فإن كثيرًا من التدابير التي عالج بها النبي ﷺ الأزمات الاقتصادية التي واجهت المسلمين في العهد المدني، قد اتخذها بصفته رجل دولة، لا بصفته نبيًا، فما على المسلمين - وغيرهم - إذا أرادوا لأنفسهم النجاة، وتجاوز تلك الأزمات إلا الأخذ بالتدابير التي سنها النبي ﷺ، والأخذ بما ينفعهم في عصرهم من أي مصدر كان، ما لم يكن فيه شبهة حرام، وصدق الله القائل: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾(٢٧٩).

(٢٧٩) سورة الأعراف، الآية٩٦.